بحث
(١)

رؤية الوجود
فى
شعر طاهر أبو فاشا

إعـــداد

د / عبد العاطى كيوان
مدرس الأدب الحديث
بكلية التربية جامعة القاهرة فرع الفيوم

تقديم :

فى هذا البحث نتناول واحدا من جيل الرواد فى شعرنا المعاصر ، هو الشاعر طاهر أبو فاشا[1] . وهو ينتمى زمنيا إلى كل الإتجاهات التى تواترت على الساحة الأدبية ، فقد عايش أعلام المحافظين ، والديوان ، وأبوللو ، حتى الحركات التجديدية ، بما يعرف بالشعر الحر أو الجديد ، ولم يكن غريبا أن يجمع الشاعر بين تلك الاتجاهات ، فكان تقليدياً عندما اقتفى نهج الشعر العربى ، كما عرفه السلف من شعراء العربية وفحولها ، فلم يخرج عن أغراضهم المطروقة ، وعندما جنح بشعره إلى الفلسفة ، كان يسير كذلك على نهج القدماء من أعلام التصوف الإسلامى ، بداية برابعة العدوية ، فالحلاج ، ثم ابن عربى ، وابن الفارض ، وكثيرين غيرهم ممن شغلهم موضوع الحب الإلهى ، وممن فاضت قريحتهم بهذا اللون من الشعر .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن شاعرنا عندما نصنفه ، طبقاً لما تعارف عليه فى فكرنا الحديث من تصنيفات ، فإننا نصنفه فى طليعة شعراء الرومانسية .

إن شاعراً كأبى فاشا ، قد جمع فى شعره بين المتناقضات ، فهو تارة عاشق محب ، يهيم فى دنيا الهوى والجمال لا يعرف لها حدودا ، وهو تارة صوفى فيلسوف ، نلمح بين أشعاره أفكار المتصوفة ، الذين ذابوا وجداً وفناءً فى ذات الخالق ، كما رأينا عند رابعة ، أو فناءً بالحلول كما كان عليه الحال عند الحلاج ، أو بالاتحاد كما هو عند ابن الفارض ، أو يقول بوحدة الوجود عند ابن عربى ؛ وهو ساخط على الدهر والخلان كأبى العلاء ، أو مستهزئ بالدنيا وأهلها ، ساخرٌ متأففٌ كأبى نواس وبشار وغيرهم ، إلا أننا نرى شيئا مشتركاً فى شعر أبى فاشا ، يختلط بأكثر أشعاره وأغلبها ، يتمثل هذا فى فكرة الموت ، التى شغلت الشاعر ، وأجهدته زمناً طويلاً ، وإذا كنا نتناول جانباً يسيراً فى شعر أبى فاشا ، دون التطرق إلى أغراضه الأخرى ، التى لا يتسع المقام لعرضها ، التزاماً بمقتضيات

---

(١) ولد فى مدينة دمياط ١٩٠٨م وتعلم بكتابها ، ثم واصل دراسته فى الأزهر ، إلا أنه انتقل إلى كلية دار العلوم ، ثم تقلد بعض الوظائف الأخرى فعمل مدرسا بالتعليم ، ثم موظفاً فى وزارة المواصلات، فالحربية ، حتى خروجه على المعاش سنة ١٩٦٨ . وكان فى أثناء ذلك مؤلفاً للتمثيليات الإذاعية ، وعلى قمتها ألف ليلة وليلة ، ثم توفى فى مايو سنة ١٩٨٩.
دواوين الشاعر : صورة الشباب ١٩٣٢ ، القيثارة السارية ١٩٣٤ ، الأشواك ١٩٣٨ ، راهب الليل ١٩٨٣ ، الليالى١٩٨٦ ، دموع لا تجف ١٩٨٧.

البحث ، فإننا نستطيع من خلال ذلك التعرف على شخصيته شاعراً وإنساناً .

عاش أبو فاشا الدنيا كما أرادها لنفسه ، وذاق الجوى والهوى مرات ، وعانى ألم الفراق ، فى ثكله لأحب اثنين إلى نفسه ، ولده وزوجته ، فكان رابع الشعراء الذين رثو زوجاتهم فى ديوان كامل[٢] بعد أن رثى ابنه[٣] رثاءً موجعاً ، وهو شيخ جاوز الثمانين فيقول :

كَمْ ذَا أُلاقى من الأيّامِ يا ولَدِى ... ولا أراكَ إذَا يوماً مدَدْتُ يَـــدِى
خَوْفى عليكَ وخَوْفى منكَ يملؤُنى ... رُعْبَاً من اليَومِ مَوْصُولاً برُعب غدِ
هَذا الّذِى كُنْتُ أرْجُوهُ ليَحْـملَنى ... فَصرْتُ أحْمِلُهُ شَيْخاً بلا جَـــلَدِ [٤]

هو واحد عاش الدنيا بمباهجها وآلامها ، فيؤب إلى خالقها ، كعادة بعض الشعراء ، وبخاصة الشعراء المتصوفون ، ولذا يعود الشاعر إلى الله ، فى شعر يفيض بالروعة ويتزى بالشعور الدينى الثرى ، محلقا فى روحانيات عالية ، من الشفافية والفناء ، فكانت قصائده المغردة مع ذات الخالق ، تنم عن تلك الروح الهائمة ، كما أراد لها الله ، كما أنها تجسد وجود الإنسان ، كجزء من هذا الوجود الأسمى وتبيين عن نفسية هائمة هى الأخرى ، مع ما اقترفت من آثام فى رحلتها الحياتية الطويلة .

أما كيفية تناولى لهذا الموضوع ، فإنه يتبلور فى :

١- فلسفة الوجود لا الفلسفة الوجودية ، لأن أبا فاشا ، لم يكن من أنصار الفلسفة الوجودية المعروفة ، ولكنه فى الوقت نفسه ، كان تصوره للوجود ، متصلاً بمصادر ثقافية شتى إمتاح منها .

٢- المنهج :

أ) قراءة نصية : تركز على النص ذاته فى شعر أبى فاشا ، ولاتشغل نفسها بربط النص بالأحداث التاريخية ، أو الظروف الشخصية المصاحبة له ، جرياً على عادة المناهج النقدية الحديثة ، فى التركيز على ذلك ، وإن تكن القراءة لا تعلن عداءً للمناهج التاريخية المختلفة .

---

(٢) عزيز أباظه (أنّات حائرة)، عبد الرحمن صدقى (من وحى المرأة)، د. رجب البيومى (حصاد الدمع)، و(دموع لاتجف) للشاعر .

(٣) هو ابنه فيصل الذى توفى فى فبراير سنة ١٩٨٩ . وقد رثاه الشاعر فى حياته نظراً لظروف خاصة ألمت بهذا الابن .

(٤) وهى من القصائد التى لم تنشر فى دواوينه ، ثم نشرت فى الأعمال الكاملة فيما بعد ص ٤٤٦ ، وجاءت فى ثلاثة أبيات ، تحت عنوان " قصيدة لم تتم " وكأن الشاعر قد رمز بها إلى ابنه الذى لم يتم دورة الحياة .

ب) التناص : -(مصطلح حديث يحظى بشيوع فى المرحلة الأخيرة) يعنى بدراسة التفاعل ، أو التداخل ، بين النص والنصوص الأخرى ، التي تقف وراءه لتدعمه ، أو لمخالفها ، ويحقق النص خواصه وطبيعته ، بما يلقاه من دعم لنصوص أخرى له ، أو مخالفته لها ، ومثال ذلك ، استناد بعض أشعار أبى فاشا إلى تراثٍ من الشعر الصوفى ، يدعمها وتستمد تفسيرها من خلاله .

جـ) التأويل : -(مصطلح حديث آخر له رواجه) فيه تظهر شخصية الباحث ، من جهة أنه ، فى ممارسته للتأويل يتمثل النص ، ويخوض تجربته مع دلالاته ، ويحاول أن يستخرج منه أبعاد معناه .

د) المحاور : - وتتلخص فى دراسة علاقة نص أبى فاشا بالتصوف ، الذى ظهر من خلال ، الشك ، والموت ، والحكمة ، والدين ، ثم كان الحب الإلهى ، الذى بلور هذه المفاهيم الصوفية ، ودلل على أصالة الفكر ، وسلامة المنبع ، الذى استقى منه الشاعر .

وأخيراً فإن كنت قد قصرت ، فإنه لا يسعنى إلا أننى قد حاولت .

" وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

عبد العاطى كيوان

١- قضية الشك :

إن الإنسان كواحد فى تلك المنظومة الكونية ، قد يختلف مع نفسه بعضاً من الإختلاف ، إزاء هذا الوجود غيبه ، ومشهوده ، حيث تتغير مواقفه الحياتية تبعاً لكل مرحلة من مراحل عمره ، فتأخذه تارة إلى غياهب بعيدة من التفكير والتأمل ، نحو الكون وخالقه ، وتارة أخرى تقذف به بين بحار من التردد والحيرة ، تعج أمواجها بالقلق والإضطراب ، والشك فى كنه النفس وحقيقة الوجود ، إلا أنه فى أحيان كثيرة يعود إلى منطق العقل ، وهكذا ، حتى يصل إلى الحقيقة ، أو يخيل إليه أنه وصل إليها ، وطاهر أبو فاشا ولج تلك البحور جميعها ، ولهذا تأرجحت نظرته ورؤياه ، نحو هذا الوجود ، فهو ذلك المحب العاشق المتمرد ، وهو كذلك الصوفى الورع ، الذى لا ينقطع البكاء من وجدانه المتصدع ، هو ذلك التائب العائد من آثام النفس وعصيانها ، ولكنه الثائر على قانونها .

والشك فى شعر أبى فاشا لم يقتصر على مرحلة بعينها ، وإنما يشكل معظم أشعاره بداية من مراحله الأولى فى ديوانه "صورة الشباب " وحتى دواوينه الأخيرة ، ففى آخريات أيامه ، كان يعيش هذا الشعور المتردد ، كما كان عليه الحال فى أيامه الأولى ، وإن كان شعوراً ممتزجاً برؤاه الفلسفية الصوفية ، التى تمخضت عن مفهوم الحب الإلهى عنده ، ولذ نرى شاعرنا يقف تائهاً فى بحار الحياة ، يجرفه تيارها أحياناً ، إلى ضفاف يحتويه الظلام ، فتشتد معاركه معها ، ويهيم فى وديانها المتشعبة :

تائهٌ طالَ سُـــراه فى مَجَاهيل العُصُـــرْ
جَامدُ الوَجْه ، خَفيفُ الخَطو ، يجتازُ القَدرْ
كلَّما شَـــاخَ وأوْهَى شرْخَه شَيْبُ السَّـــحَرْ
ذابَ فى الفَجْرِ وألقَى السَّيْفَ فى صَمْتٍ وَفَرْ(٥)

ويجسد الشاعر ما يعتمل فى نفسه ، تجاه القدر، والكون ، والحياة ، فيقول :

حدثونى : هلْ حَيَاتى غيرُ لُغْزٍ لا يُحَلْ؟!
وهَل الدُنيا سَرَاحٌ أمْ لنا أسْـــرٌ وغُلْ ؟!
هَلْ أنا حَقّاً أنا ؟! أمْ أنا وهـــمٌ وظِلْ ؟!
أم أنا ... يا لهفَ نفسى ما أنا ؟! حدثونى (٦)

ثم يستطرد قائلاً :

---

(٥) ديوان : راهب الليل : ص ٣٠٠ .
(٦) ديوان : صورة الشباب : ص ٣١ .

وسألتُ عنْ سر الحياةِ وهَالَنى أنِّى ضَلَلتُ وأنَّنى فى تيهِ (٧)

وهنا يقف الشاعر من الحياة وقفة الفيلسوف ، المفكر فى حقيقة الانسانية ووجودها ، متأملاً ذلك اللغز ، الذى أعجز الانسان ، غير أنه يترك السؤال ، أو أنه ينتظر الإجابة ، ولكن دون جدوى !! " فالرغبة الدائمة الملحة على الإنسان ، هى رغبة الوجود ، وكل مغامراته الطويلة ، ليست - فى أقصى غاياتها -إلا طريقاً لتحقيق وجوده ، ومن ثم إدراك معنى هذا الوجود ، وقد أخذت هذه المغامرات أشكالاً مختلفة ، فهى تتمثل فى البحث عما نسميه الحقيقة ، وأخرى فى البحث عن الله ، وثالثة فى محاولة تفهم ما النفس (٨) ويختلف ذلك من إنسان لآخر ، تبعاًلاختلاف الفكر والثقافة ، والموروث لدينى، والأخلاقى ، والاجتماعى .

ويحذو الشاعر حذو القدماء ، فى نظرته إلى الوجود ، وفى مقدمة هؤلاء ، فيلسوف الشعراء أبو العلاء المعرى (٩) حيث نجد " تناصاً " مباشراً بين الشاعر وأبى العلاء ، فى بياته الشعرية التى يقول فيها :

خَفِّف الوطْءَ ! ما أظُنُ أديمَ الـ أرْضِ إلاَّ منْ هَـذه الأجْسَاد
وقبيحٌ بنا وإنْ قَـدُمَ العَهـ ـدُ، هوانُ الآباء والأجْـدَاد
سِرْ إنْ استطعت فى الهواء رويداً لا اخْتيَالاً على رُفَات العبَاد
رُبَّ لحدٍ قَدْ صَـارَ لحداً مِـرَاراً ضاحكٍ منْ تَزَاحُمِ الأضْدادِ (١٠)

فيقول أبو فاشا :

هَلْ طعَامِى غَيرُ جُزْءٍ منْ جدُودى الأوَّلينْ ؟
هَلْ سـوَانا من طعَامٍ لبنينَا المقْبلينْ ؟
أمْ ترىَ الـدهرَ ضَنينَا ببقايا الهالكينْ ؟
أيْنَ كانَتْ ؟ أيْنَ صَارَتْ ؟ أيْنَ تَغْدُو ؟ حدِّثُونى (١١)

فالشاعر هنا وإن كان يسير على نهج القدماء ، إلا أنه يمزج ذلك برؤيته وفلسفته

---

(٧) ديوان : راهب الليل : ص ٣٤٤ .

(٨) د. الطاهر أحمد مكى : الشعر العربى المعاصر : روائعه ومدخل لقراءته ط ٤ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠. ص ١٩٦ .

(٩) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى (٣٦٣-٤٤٩) هـ - ٩٧٣-١٠٥٧)م ، شاعر فيلسوف ، ولد ومات فى معرة النعمان ، كان يلعب الشطرنج والنرد ، وإذا أراد التأليف أملا على كتّابه .انظر الأعلام جـ١ ص ١٥٧.

(١٠) ديوان : سقط الزند - دار صادر - بيروت (د.ت) ص ٧ .

(١١) ديوان : صورة الشباب : ص ٣١ .

ولم يختلف الأمر كثيراً فى قصيدته " وراء خطى الليل " إذ تضطرب الأشياء أمامه مرة أخرى ، فيدور مع شطحاته ، وتختلف الرؤية من حوله ، ليسد عليه الشك منافذ فكره، عندما يقول :

هَدَأَ الكَوْنُ فَمَا لى قَدْ طَغَى تَيَّارُ فـكرى
يَعْصِفُ الشَّكُ به حَتَّى على الشَّك ويُغْرى
لا تَلُمْ حَرَّانَ دَاوَى لدْغَةَ الجَمْرِ بجَـــمْرِ
لَوَّحَ الوَهْمُ له فانسابَ فَوْقَ الشَّوْكِ يجْرى
أ ضَلالٌ أم هُدَىً ما نحنُ فيه ليتَ شعْرى(٣٢)

وهنا نلاحظ ألفاظ الشاعر المضطربة ، وأناته الحزينة التى انسابت من وجدانه المظلم بتلقائية ووضوح ، تؤكد ذلك الإحساس الداخلى وتحاكيه : قد طغى تيار فكرى / يعصف الشك / حران / لدغة الجمر / لوح الوهم / الضلال / الهدى ، إنها ألفاظ متنافرة متناحرة ، جاءت صدى لنفس قائلها ، وصورة صادقة لواقعها .

غير أنه يتعطش إلى المعرفة والاهتداء نحو الحقيقة ، التى لم يستطع الكشف عنها ، فيتوجه إلى نفسه فى حوار يقطر بالأسى ويفيض بالمرارة :

آه لو يكْشفُ عَنْ مخْبَئَهَ سرُ الحَيـاه
إنَّنى ظَمْأَنُ .. ظَمْأَنُ على وِرْد المياه
إنَّنى حَيْرانُ .. حَيرانُ تَرَدَّى فى أساه
لَيْسَ يَشْفِينى سُكُوتى .. لا .. ولا تُجْدى الشكاه
وطـــريقُ الشَّـك دُونـــى لَسْـتُ أدْرى مُنْتَهاه(٣٣)

بهذه العبارة الأخيرة من ديوانه (راهب الليل) حدد الشاعر هذا الطريق ، الذى لم يستطع الفكاك منه أبداً ، كما أنه دلل على رسوخ هذه الأفكار ، التى تمثل ملمحاً أساسياً فى ديوانه الشعرى ، وتشغل جانباً كبيراً فيه .

* * *

(٣٢) ديوان : راهب الليل : ص ٢٩٩ .
(٣٣) المصدر السابق : ص ٣٠٠ .

٢- قضية الموت :

إنه لا شك فى أن التفكير فى الموت ظاهرة إنسانية ، لازمت الإنسان منذ عصوره الأولى ، لقد نظر منذ قديم الزمان إلى الكون ، فهاله ذلك النظام ، وهذا الترامى ، وذاك الاتساع ، غير أنه وجد أن الحياة تنتهى بالموت ، فأفزعه ذلك .

"لقد ظل الموت بالنسبة للإنسان هو المشكلة الكبرى ، والمأساة الخانقة ، والسبب الرئيسى فى قلقه وحيرته ، وضياعه ، فبمجرد التفكير فيه ، يجعل القلب يتراقص من الالم ، وكأن يداً قوية تلاعبه ، وتهزه ، ويجعل الحياة الإنسانية مجرد وهم من الأوهام ، وشيئاً تافهاً لا يستحضر ذلك الاهتمام[٣٤] على أن ذلك كان فى غيبة من الديانات والكتب السماوية التى تواترت على البشرية منذ أزمانها البعيدة .

وعندئذ أخذت هذه القضية بعداً جديداً ، ولكنه هذه المرة ، كان بعداً مختلطاً بالمفاهيم الدينية ، التى تحدد وضع الإنسان من الكون ، فى إطار إيمانى غيبى ، غير أن ذلك لم يجعله يؤب إلى رشده تماماً ، وتبدى هذا فى صور متعددة ، من التحسر والبكاء على نفسه ، التى ستتوارى فى التراب بعد زمن قصير ، ولما ينتظرها من مصير إنسانى طال أم قصر .

إلا أن ذلك كان متفاوتاً بين الناس جميعاً ، فلاسفة كانوا أم مفكرين ، ولكنها ظلت مرضع قلق واضطراب ، لمن تهتز لديهم المعايير الإيمانية ، أو من تتسع الفجوة بينهم وبين الذات الخالقة .

وقد تبلورت هذه الفكرة عند بعض الشعراء ، فأخذت طريق الحكمة أحياناً ، والعظة والاعتبار فى أحيان أخرى ، وكان طاهر أبو فاشا واحداً ممن سار على درب الإنسانية فى تناوله لهذا الموضوع ، الذى شغل مساحة غير قليلة فى ديوانه الشعرى ، فماذا نرى فى رؤية الشاعر للموت ، وكيف عبر فى أبياته الحائرة عن ذلك ؟ هذا ما نفرد له فى هذا الباب ، يقول الشاعر :

فى صَحَارِى الحيَاة واللَّيْلُ يَجْرِى ... صَائحاً بالحَياة أيْنَ السَّبِيلْ
يَسألَ العَقْلُ : مَا الحيَاةُ ؟ غَرِيقاً ... تَائهَاً ، والذى يَتيهُ سَؤولْ
فَدَعَاهُ منَ السَّمَاءِ مُجيبٌ ... أذُنَ المَوْتُ ، واسْتَتَبَّ الرَّحيلْ
الحيَاةُ التى تُمِيتُكَ بَحْثَاً ... عَنْ خَبَايَاهَا أنْتَ فيهَا نَزِيلْ

---

(٣٤) د. مفيد محمد قميحه : الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى الحديث - دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨١. ص ٣٧٥، ٣٧٦ .

وَمَعيبٌ عَلَيْكَ أنَّكَ ضَيْـــفٌ ... بَاحِثٌ فى دَارِ المضيف تَجُولْ
إنَّ تَرْكَ التفكيرِ فكرٌ وبـعدٌ ... منْكَ عَنْ أنْ يُقَالُ ضَيْفٌ ثقيلْ
كُنْ بدَارِ الحَياةِ ضَيْفاً خَفيفاً ... ورُوَيْداً لا يَحْتَويك الفُضُـولْ
كَمْ هُوَاةٌ قَسَاوِسٌ وَشيُـوخٌ ... ثُمَّ رَاحُوا وفكْرُهُمْ مَطْـــلُولْ
إنَّ لُغْزَ الحَياةِ حُلٌّ ولَـــكِنْ ... حَلَّهُ "لَيْسَ للحَياةِ حلُول !!"(٣٥)

فى هذه الأبيات يناقش الشاعر تلك القضية ، بطريقة جدلية فلسفية ، لا يكاد يخرج منها بشئ ذى بال .

فالليل يجرى صائحا فى صحارى الحياة ، فى غير اهتداء أو روية ، وإذا كان السؤال من شيمة التائه الضليل ، فالعقل غريق ، تائه يسأل ،فى تلك الأثناء تأتى الإجابة لتريح هذا العقل ، وكل هذه الرموز تشير إلى الإنسان التائه فى سراديب الكون ، يتحسس موقعه فيه ، ويستشعر موقفه من القدر ، والشاعر ينقل لنا هذا المشهد فى حوار جدلى ، استنطق فيه تلك الرموز ، وإن اتسم بالجمود والجفاف والتوعر.

فخير لك أيها الإنسان أن لا تشغل نفسك بذلك ، فإذا وصلت إلى تلك الغاية فقد أرحت نفسك ، وجنبتها حملاً ثقيلاً لا تقدر عليه ، فلست وحدك الذى حاول ، بل كم عتاة وجبابرة حاولوا ، وشيوخ وقساوسة آملوا ، ولكن !! .

لقد استخدم الشاعر كذلك كلمة " ضيف " والتعبير بهذه الكلمة يوحى بقصر الإقامة ، وهكذا حال الدنيا مع ساكنيها ، فحياتها قصيرة ، إذا قيست بعمر ذلك الدهر الهرم ، ولهذا غدا الإنسان ضيفاً خفيفاً ، عابراً عليها إلى ضفاف غير متناهية ، بعيدة المقام ، عميقة الأسرار .

على أن ما ينبغى توضيحه هنا ، أن الشاعر قد ربط بين الحياة والموت فى كثير من قصائده ، والواقع أن هاتين القضيتين ، قد أصبحتا شيئاً مشتركاً فى شعر أبى فاشا يربطهما ربطاً محكماً ، حتى يخيل إليك أنه يتكلم عن الحياة بلا حدود ، غير أنه يأخذك من حيث لا تدرى إلى غياهب الموت البعيدة ، ليقف بك على كنهه وحقيقته ، ثم يوحد بين ذلك كله ، فى رؤية فلسفية جدلية، وبين قضايا الوجود الكلية ، موازناً بينهما ، ثم يكون العجز والإستسلام فى النهاية .

وطاهر أبو فاشا وإن كان يدور فى فكر القدماء كما رأينا ، إلا أنه يستقى من الموروث الدينى ، حيث نجد " تناصاً " مع كثير من الآيات القرآنية التى تحمل نفس

(٣٥) ديوان : القيثارة السارية : ص ١٣٨ ، ١٣٩.

المضمين ، وإذا كان الشاعر يطوف فى تلك المنحنيات ، التى تتجاذبه بين رباتها ووديانها المتشعبة ، إلا أنه يؤكد أوبة النفس إلى وجودها الحقيقى ، الذى قدر لها وكان . فيقول :

طَالَ شَوْقى إلى حَيَاةٍ تُرَى فيـــ ـــهَا مَعَانٍ جَدِيدَةٌ للحَيَاة (٣٦)

وهنا يقترب الشاعر مرة أخرى من أفكار المتصوفة ، الذين يرون فى الموت شيئاً لا يراه لآخرون " فالموت عند الشعراء المتصوفين ليس نهاية ، وإنما هو مقدمة حياة خالدة ، وبداية انطلاق أكبر فى سلم الخليقة ، فالعمران لا يكون إلا بعد خراب ، فإذا رأيت بيتاً يهدم ويخرب فاعلم أن هناك بناءً جديداً ، والشجرة لا تعطى ثمارها إلا حين تتفتح وتسنط الأزهار ، وحين تسقط وتموت ، تبدأ حياة الثمار الجديدة ، وكذلك الروح ، لا تقوى ولا تلبث كسوة جديدة ، حتى يتهدم الجسم الفانى ، ويخلع العمر البالى منها ، فإذا سلب الحق تعالى الحياة الضعيفة السقيمة ، أعطى بدلاً منها حياة أوسع ، وأبقى ، وأجمل ، وأرقى (٣٧) . وفى ذلك يقول الحلاج (٣٨) عندما حكم عليه بالإعدام :

أُقْتُلُونى يَا ثِقَاتِى إنَّ فى قَتْلى حَيَاتِى
ومماتى فى حياتى وحياتى فى مماتى (٣٩)

تلك هى أحوال الصوفية ، الذين يرون فى الموت حياة جديدة خالدة ، بدلاً من تلك الحياة الفانية القصيرة :

غَايَةُ العَيْشِ أَنْ تَمُوتَ ، فماذا يُفْزِعُ النَّفْسَ مِنْ وُرُودِ المَمَات ؟
يَتَسَاوَى المحيطُ بالكُوبِ مَادُمْـ ـتَ مُصِيباً مِنْ مَائه قَطَرَات (٤٠)

لذا يدعو الشاعر إلى الإغتراف من هذه الحياة ، فى أسلوب يخيل إلينا أنه يسخر منها ، وإن كان يعبر عن ذلك ، فهى " ساعة الأنس " تلك العبارة التى تقترب من القول الدارج ، بما تحمله من إيماءات وإيحاءات :

لَكَ سَـــاعَةٌ تَعْدُو مُشَـــمَرَةً تُحْصى الزَّمَـــانَ دَقيقَةُ الحسِّ
دَقَّاتُهَا تَدْعُـــوكَ مُغْـــرِيَةً مِنْ قَبْلِ أنْ تُدْعَى إلى الرَّمْسِ
أنَا لا أرَى فى الغَيْبِ مُزْجِرَةً إنَّ الحَـــيَاةَ اليَـــوْمَ لا أمْسِ

---

(٣٦) ديوان : الأشواك : ص٢١١.

(٣٧) بحار الحب عند الصوفية : ص ١٥٢.

(٣٨) هوالحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤-٣٠٩هـ / ٨٥٨-٩٢٢م) الزاهد المشهور ، هو من أهل البيضاء ، وهى بلدة بفارس ، نشأ بواسط فى العراق ، وصحب أبا القاسم الجُنَيْد وغيره ، والناس فى أمره مختلفون : فمنهم من يبالغ فى تعظيمه ، ومنهم من يتهمه بالكفر . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٣ ص ١٤٠.

(٣٩) ديوان الحلاج . مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة (د.ت)ص ١٦.

(٤٠) ديوان : الأشواك : ص ٢١٢.

فَانْهَلْ مِن الدُّنْيَا على عَجَلٍ واثْأرْ لصُبحِكَ مِنْ دُجَى مُمْسى
لك ســـاعة لحظاتها نـــهزٌ فكأنما هى " ساعة الأنس " ![41]

فى هذه الأبيات نقف على صورتين : نشاهد فى اللوحة الأولى :
ساعة واحدة / تعدو مشمرة / تحصى الزمان / دقيقة الحس / دقاتها مغرية .
وكلها كناية عن السرعة والحركة وزوال الحال .
وفى اللوحة الثانية :
انهل على عجل / واثأر من دجى ممسى / لك ساعة نهزٌ / هى ساعة الأنس .
وكلها كناية عن الإستمتاع بالدنيا قبل فوات الآوان .

وعلى الرغم من حالة الرضا والقبول بالأمر الواقع ، إلا أن الشاعر يعود بين مرة وأخرى ، إلى حيث القلق والتساؤل :

أيْنَ ياليْلُ بنَا تَمضى لقَدْ طَالَ السَّـــفَرْ
مَا لهذا اللَّيْلِ لا يَنْفَكُ عَنْ هَذَا الرَّحيلْ
دائبَاً يَنْهَبُ الأجْيَالَ جيلاً بَعْدَ جيـــلْ
يَفْسِحُ الدُّنيَا لكَوْنٍ مُقْبلٍ جَمِّ الفُصُولْ
ثُمَّ يطْويه لكَـــونٍ آخرٍ عـــمَّا قليلْ
قصَّةُ الدُّنيا المَنَايا ، ولَيَاليهَا الفصُولْ[42]

ثم يردف الشاعر بصورة أخرى ، موحية ثرية ، يجسد من خلالها الكون بما فيه - أقماره ، ونجومه - شاخصاً للإنسان ، وكأنه يعد عليه حركاته وخطواته ، متوثباً يأكل الآجال قهراً ، كدواب سائمة فى البرية ، فإذا كان النهار ، ولت من حيث أتت ، فقد انتهى الليل، كى يعود من جديد ، والشاعر يربط فى إطلالة رامزة بين البعد النفسى والزمن ، فى إيماءة إلى العمر ، الذى لا يمثل سوى ليلة من ليالى الظلمة ، فى زمن لا تدرك حقيقته:

أتَرَى البَدْرَ ضَليلاً .. ؟ هَلْ رَأَيْتَ الشُهْبَ حَيْرَى؟
تَذْرَعُ الأفْقَ ثَقيلات الخـــُطَى شِبْراً فشبْراً
سَائمات فى الفَيَافى تَأكُلُ الآجَالَ جـــَهْراً
فَإذَا صَاحَ بها الدِّيكُ مَضَتْ تَأكُلُ سِـــــرّاً [43]

(٤١) ديوان : الأشواك : ص ٢٣٣ .
(٤٢) ديوان : راهب الليل : ص ٣٠٠ .
(٤٣) المصدر السابق : ص ٣٠١ .

فالبدر ضليل ، والشهب حيرى ، تذرع الأفق ، ثقيلات الخطى ، لا تهتدى إلى طريق، بينما الآجال تؤكل ليل نهار .

ويتبدى خلال هذا التصوير مدى عمق الشاعر ، إزاء تلك التجربة الوجدانية ، الواقعية المباشرة ، فالواقعية المباشرة : أعنى بها حيرة الشاعر ، ثم تجربة الحياة المجردة ، أما التجربة الوجدانية ، فأعنى بها قدرة الشاعر على التصوير الجمالى ، الذى يتميز بالرمز والدلالة الموحية "فالتجربة التى تتمتع بدرجة كبيرة من العمق ، هى التجربة التى يبزغ منها الشعر ، والشاعر فى حاجة إلى عمق التجربة أكثر من حاجته إلى التفصيل ، ولذا فإن التعبير المباشر فى الشعر ليس تعبيراً شعرياً ، وحياة الألفاظ الطويلة وما تبلور فيها من مأثور أدبى أو تاريخى أو أسطورى ، كل ذلك يكسبها تلك المقدرة الرمزية الإيحائية[٤٤] التى تتحقق من خلالها غايات الآدب السامى الرفيع .

يقول الشاعر :

لَيْلَةٌ تلْكَ التى . أطْلَعَهَا الغَيْبُ وَرَاحَتْ
ونَعَاهَا الدِّيكُ واسْتَبْكَى النَّدَى حَتَّى تَوَارَتْ
أيْنَ رَاحَتْ هَذه اللَّيْلَةُ ؟ بَلْ مِنْ أيْنَ جَاءَتْ
ما الَّذى يَنْقُصُ عُمْرَ الكَوْنِ وَلَّتْ أوْ أقَامَتْ
إنَّهَا الأيَّامُ دَارَتْ . إنَّهَا السَّاعَةُ حَانَتْ[٤٥]

ثم يمضى الشاعر ، فيطالعنا بصورة جديدة لعمر الإنسان ، الذى يجعل منه سبحة فى كف شيخ ، وماحباتها إلا أيام العمر الفانية ، وكلما فقد واحدة منها ، فقد الإنسان جزءاً من عمره ، وهكذا حتى النهاية .

سُبْحَةٌ فى كَفِّ شَيْخٍ ... رَاهِبٍ بالمَوْتِ يُغْرِى
كُلَّما سَبَّحَ مَرَّتْ ... حَبَّةٌ فى الغَيْبِ تَجْرِى
مَا الَّذى أبْقَاهُ مِنْ ... حَبَّاتِها لَيْتَكَ تَدْرِى
أيُّها الشَّيْخُ رُوَيْداً ... إنَّنى فى المَوْتِ غَيْرِى
هَذِهِ الحَبَّاتُ فِى ... كَفِّ الرَّدَى سَاعَاتُ عُمْرِى[٤٦]

---

(٤٤) د. عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٢.ص٢٩٨ .

(٤٥) ديوان : راهب الليل :ص ٣٠١ .

(٤٦) المصدر السابق : ص ٣٠٣ .

وعلى الرغم أن هذا الشعر قد ابتعد كثيراً عن العمق والخيال ، وجاء شعراً تقريرياً مسطحاً ، إلا أنه يؤكد حقيقة واقعة ، سيقت فى هذا التصوير المنطقى ، الذى سلك مسار الحكمة والعظة .

أما فى قصيدة " المقبرة " فإن الشاعر يصور القبر ببحر متلاطم الأمواج ، يلتهم الداخلين إليه ، بعد أن تضمهم شطآنه المتوثبة ، فلا يعود نازله أبداً ، وقد ساوى بين الجميع :

بَحْرٌ تَلاَطَمَ مَوْجُهُ وَعُبَابُه ... وَسَجَى وأَغْطَشَ لَيْلُهُ وَضَبَابُه
وَقَفَ البِلَى فى شَاطِئَيْه مُشَمِّراً ... ولكُلِ وَحْشٍ فى البَسِيطَةِ غَابُه
يَتَلَقَفُ المَوْتى وَهَتْ أَسْبَابُهُمْ ... طولَ الحياةِ وما وهَتْ أَسْبَابُه
يتَوَاكبون إليه لا مَلِكٌ ولا ... عَبْدٌ. ولكِنْ هَالِكٌ وكتَابُه
سَوَّى الحِمَامُ هناكَ بَيْنَ رُؤُسِهم ... مَلَكٌ . يقيمُ على الملوكِ ترابُه(٤٧)

وإذا كان الشاعر يستمد صوره من الواقع المعيش ، إلا أنه من العسف والظلم ، القول بأنه يخلو من الصدق الفنى الجاد ، كما أن الألفاظ القرآنية التى ترددت فى القصيدة ، "كسجى" ، "وأغطش" أضفت على الصورة بعداً آخر فى سياقها الشعرى الجديد .

ثم يمضى الشاعر ، مستوحياً صوره من الأساطير القديمة ، فنرى مدينة الموتى ، وعليها " سربروس " ذلك الكلب الذى يحرس تلك المملكة ، كما تقول الأساطير اليونانية القديمة، غير أن الشاعر يعطينا صورة لما تعانيه النفس ، إزاء تلك المدينة المتخيلة :

أَمَدِينَةَ المَوْتى : ثَرَاكِ يَرُوعُنى ... وَيَرُوعُ قَلْباً يَفْهَمُ الآلاما
إِنِّى نَثَرْتُ على ثَرَاكِ خَوَاطِرِى ... وَصَحِبْتُ أَهْلَكِ قَانِتاً قَوَّاما(٤٨)

وتزداد هذه المعانى الوجدانية وضوحا ، عندما يجمع الشاعر فى لوحة واحدة بين صور متفرقة ، من الحزن ، والحكمة ، والتساؤل ، وإن كان " الشعر مجاله العواطف لا العقل والإحساس لا الفكر ، وإنما يعنى بالفكر على قدر ارتباطه بالإحساس ، ولا غنى للشعر عن الفكر ، بل لابد أن يتدفق الجيد الرصين منه بفيض القرائح ، ويتخفى بنتاج العقول ، وجنى الأذهان ، ولكن سبيل الشاعر أن لا يعنى بالفكر لذاته ، بل من أجل الإحساس الذى نبهه أو العاطفة التى أثارته(٤٩). ذلك ما نلاحظه فى قول الشاعر :

---

(٤٧) ديوان : الأشواك : ص ٢٠٧ .

(٤٨) السابق : ص ٢٠٨ .

(٤٩) ابراهيم عبد القادر المازنى : الشعر : غاياته ووسائطه ، ط ثانية ، تحقيق د. فايز ترحينى- دار الفكر اللبنانى ١٩٩٠. ص ٨٥ .

إنِّى أُسَائِلُ والحَيَاةُ رَخِيصَةٌ أيْنَ الجَمالُ مَضَى ؟ وأيْنَ أقَاما ؟!
والمَيِّتُونَ ! لَوْ أنَّ فيهِمْ مُخْبِراً يَقْفُ الظنُونَ ، ويُوقِظُ الأوْهَاما
حَلَموا طويلاً فى الحَياةِ وأمَّلوا طولَ السُّرَى حتى غَدَوْا أحْلاما
آهاً لكفِّ الموْتِ:كيفَ غَدَتْ على حَرِمِ الجَمَالِ وصَيَّرَتْهُ رُغَامَا ؟!(٥٠)

فما زال الإنسان حائرا شاردا إزاء هذا السؤال المتردد فى أعماق النفس البشرية ، إذ كيف يذهب الجمال ويفنى؟ ثم يصير ترابا !! أين مضى؟ ثم أين أقام؟ والميتون: أى صورة هم عليها الآن؟.

فى هذا الطرح من الأسئلة - المعروفة سلفاً - تبرز قيمة المعنى، مصحوبة بالدليل، لتصل معها النفس إلى نوع من الشفقة والتطهير. أو رضاء بالقضاء والقدر.

ثم يشبه الشاعر الموت باللص ، الذى يسرق الأعمار ، لايدرى به أحد، بينما الناس فى غفلة من أمره ، حتى تكون المفاجئة والنهاية:

مااللمنون تسير تسترق الخطى لص يهاب مواقع الأنظار؟
وتقنعت بالغيب واستترت وراء الدهر فى أجُمٍ من الأسرار(٥١)

وإذا كانت تلك الأشعار ، تدور منذ البداية حول فكرة الموت وفلسفته ، إلا أننا نلمح بين حين وآخر ، تمرداً وسخرية من الموت ذاته ، فلم يعد يبالى الشاعر بهذا الضيف المقيم ، الطارق عليه باب الحياة ، فقد ذاق الدنيا ، صابها وعسلها ، وهاهو الآن وقد أحاطت به الأرزاء ، فكيف يخشاه؟ تلك فلسفة أبى فاشا ، التى استخلصناها من بين مضامين فكره، وتر ثه الشعرى :

خَوِّفُونى المَوْتَ ؛ والمَوْتُ رَجَائى مِنْ قَدِيم
كَيْفَ أخْشَى مَنْ يُرِيح القَلْبَ من هَمٍّ مُقِيم؟
كَيْفَ أخْشَى مَنْ يَرُدُّ الدَّهْرَ عَنْ قَلْبى الكَلِيم؟
كَيْفَ أخْشَى مَنْ يُوَقِّينى الرَّزَايا ؟! حَدِّثُونى(٥٢) .

ثم يطالعنا الشاعر بأمثلة أخرى ، تدور كلها فى إطار هذا القول ، موضحاً أن الموت لايفرق بين إنسان وآخر ، بل يحصد الناس جميعاً ، ولا يعد للسن حساباً ، فقد يأخذ الوليد دون الأم ، والشاب قبل الشيخ الهرم ، وهكذا يفعل :

---

(٥٠) ديوان : الأشواك : ٢٠٩.
(٥١) السابق والصفحة.
(٥٢) ديوان : صورة الشباب : ص ٣٢.

كَيْفَ أَخْشَى المَوْتَ والمَوْتُ قَضَاءٌ لا يُرَدْ
يَحْصُدُ الأَعْمَارَ حَصْداً لايُبَالى ما حَصَد
رُبَّ أُمٍّ فَـــاتَهَا ، ثُمَّ أَمْضَى بالـــوَلَد[٥٣]

وإذا كان الدكتور / محمد غلاب ، يرى أن أبا فاشا ، متأثر فى هذه القصيدة بأبى العلاء المعرى ، وعمر الخيام ، لأنها تفيض بالشك والحيرة والإرتباك[٥٤] إلا أننا نرى ، أن ذلك لم يقتصر على هذه القصيدة وحدها ، وإنما يتعداها إلى كم كبير من القصائد والأبيات الشعرية، تشكل فى مجموعها معظم أشعار طاهر أبى فاشا فى هذا المجال .

ثم يستكمل الشاعر هذه الفكرة فى قصيدة أخرى حيث يقول :

لا تَقُلْ طَالَتْ الشُّجُون نَحنُ أَقْوَى مِن الشَّجَنْ
كُلُ مـا كَانَ أَوْ يكُون هَانَ إنْ نَحنُ لَـمْ نَهُنْ
نَحـنُ لا نَرهَبُ المَنُون نَحنُ أَبْقَى مِن الزَّمَنْ
ولَنا الحُبُ والحَـياة
رَغْمَ ما تَصْنَعُ الحَياة[٥٥]

وهكذا دارت الدنيا دورتها ، وآذنت شمس الرحيل على المغيب ، فهدأت النفس الثائرة على نواميس الكون ، وعادت إلى صفائها ، وصولاً إلى الحقيقة الأبدية ، فى عالم الملكوت السرمدى ، الذى تلتقى معه تلك النفس ، راضية مرضية ، "ففى أخريات أيامه ، حين كبر وأحس بالغربة ودنو الأجل ، واجه الحقيقة بفلسفته الحزينة الراضية ، وشرحها للناس بهدوء شاحب حزين :[٥٦]

فَهذه مَتاهَةُ النِّسْـــيَانْ
وَغُرْبَةٌ قَريبَةُ الأَسْـــبَابْ
بعيدة ليس لها إيـــابْ
فى جَوِّهَا يَخْتَنِقُ الضَّبَابْ
وَيَلفُظُ القِنْديلُ ضَـــوْءَه
وتَتُوهُ فى وَادِى الظَّلامِ ذِكْرَيـــاتى
وَتَنْطَوِى صَحِيفَتى وَأَغِيبُ عن ذَاتى

(٥٣) ديوان : صورة الشباب ص ٣٢
(٥٤) مقدمة ديوان صورة الشباب .
(٥٥) ديوان : راهب الليل : ص ٢٨٤ .
(٥٦) مقال لمحمد التهامى ، مجلة الشعر العدد (٥٥) يوليو ١٩٨٩.

وأُصيرُ بضْعَةَ أسْطُر فى صَفْحَةِ الوَفيَّات
وعِنْـــــدَ هَـــذَا تكْتَمِلُ الحِـــــكَايَة
وتَنْتَهِى الـــــرِّوَايَة ... وَيَنْزِلُ السِّتَار[٥٧]

وبهذا ينسدل الستار، عند آخر فصل فى رواية الموت ، لدى الشاعر طاهر أبى فاشا، ألمنا فيها بجانب غير قليل من أشعاره ، التى تؤكد هذا المعنى ، ضمن أغراضه وابداعاته الشعرية .

* * *

(٥٧) ديوان : دموع لاتجف : ص ٤٣٣ .

٣- الحكمة :

الحكمة ألفاظ لها دلالة على حسن الكلام ، تساق فى ثوب بديع ، وأسلوب بليغ ، يبلغ من السامع مبلغه ، فيأثر القلوب والأسماع ، ويبقى أثراً خالداً أبد الدهر ، وأخص الله بعضا من الناس بهذه الميزة ، فجاءت عباراتهم قوية مؤثرة ، تهتدى بها الإنسانية فى حياتها ، وتتأسى بها ، وفى تاريخنا الإنسانى ، أمثلة من الأدباء ، والشعراء ، والفلاسفة ، أثروا الضمير الإنسانى بتلك الدرر، وقد حفظها لنا الضمير الجمعى للإنسانية، فى مخزونها الثقافى ، ثم صدرها إلى أجيال تالية ، حتى وصلت إلينا ، وما من شاعر إلا وله فى الحكمة جانب ، وأبيات من الشعر، صارت مع الأيام ما صار إليه حال " المثل السائر" لقوة تأثيرها فى وجدان الآخرين ، وقد رأيناها فى أشعار الأوائل من الجاهليين(٥٨) ثم رأيناها عند نفر أخر من شعراء الحكمة والفلسفة فى العصر العباسى ، كالمتنبى(٥٩) وأبى العلاء(٦٠) وقد جاءت الحكمة عند طاهر أبى فاشا فى ثوب فلسفى ساخر، وخلاصة فكر وتجربة ، يقول ابن طباطبا العلوى :

« وللأشعار الحسنة على اختلافها مواقع لطيفة عند الفهم ، لا تجد كيفيتها، كمواقع الطعوم المركبة ، الخفيفة التركيب ، اللذيذة المذاق ، وكالأرابيج(٦١) الفائحة ، المختلفة الطيب ، والنسيم ، وكالنقوش الملونة التقاسيم والأصباغ ، وكالإيقاع المطرب المختلف التأليف ، وكالملامس اللذيذة الشهية الحس »(٦٢).

ثم يقول عن الشاعر :

« الشاعر كالنقاش الرقيق ، الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه ، ويشبع كل صبغ منها ، حتى يتضاعف حسنه فى العيان ، وكناظم الجوهر، الذى يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق(٦٣).

---

(٥٨) كزهير أبى سُلمى ربيعه بن رباح المازنى من مضر (ت١٣ ق .هـ/٦٠٩م) حكيم الشعراء الجاهليين، وفى أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. أنظر الاعلام للزركلى جـ٣ ص ٥٢.

(٥٩) هو احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى الكوفى الكندى (٣٠٣-٣٥٤هـ / ٩١٥ - ٩٦٥م) لازم سيف الدولة وقال فيه أحسن أشعاره ، أنظر الأعلام للزركلى جـ١ ص ١١٥.

(٦٠) سبق ترجمته والتعريف به .

(٦١) الأرابيج : الرابيج : الممتلئ الريان .

(٦٢) عيار الشعر : ص ٨ .

(٦٣) المرجع السابق : ص٢١ .

والحكمة عند أبى فاشا ، لاتذهب بعيداً عن أسلوبه ورؤيته للكون والحياة ، من ذلك ما يطرحه فى " حوار داخلى " طالما اعتصر فكره ووجدانه ، ونفسه التائهة فى سراديب الزمن :

هَلْ أنَا أبْنى لنَفْس ! أمْ أنَا أبْنى لـــغَيْرى؟!
أضَلالٌ أم هُدَى مَا نَحنُ فيه ؟ ليْتَ شعْرِى؟!
أعَلمنَا؟ لَسْتُ أدْرِى غيْرَ أنِّى لسْتُ أدْرِى !!
ألغَيْرِ المَوْت تجرِى بى اللَّيَالى؟! حَـــدِّثُونى(٦٤)

فى هذه الأبيات ، نرى تأثر الشاعر المباشر بقصيدة " الطلاسم " للشاعر إيليا أبى ماضى(٦٥) ولم يقتصر الاقتباس هنا على استدعاء المعنى وحده ، وإنما يصل أحياناً إلى حد " التنصيص " حيث يدور أبو فاشا فى ذات المضمار " الطلسم " الذى سار فيه سلفه حائراً متسائلاً :

جِئْتُ لا أعْلَمُ منْ أيْنَ وَلكنِّى أتَيْتُ
وَلَقَدْ أبْصَرْتُ قُدَّامِى طَرِيقَاً فَمَشَيْتُ
وَسَأبْقَى سَائراً إنْ شئْتُ هَذَا أمْ أبَيْتُ
كَيْفَ جِئتُ؟ كَيْفَ أبْصَرْتُ طريقى؟ لَسْتُ أدْرِى
إنَّنى جِئتُ وَأمْضِى وَأنَا لا أعْـــلَمُ
أنَا لُغْزٌ. وَذهَابى كَمَجيئى طَلْسَـــمُ
وَالَّذى أوْجَدَ هَذَا اللُّغزَ لُغْزٌ أعْـظَمُ
لا تُجَادِلْ ذُو الحجَى منْ قَالَ : إنِّى لَسْتُ أدْرِى
أنَا لا أعْرِفُ شَيْئاً عَنْ حَيَاتى الآتيَـة
لىَ ذَاتٌ غَيْرَ أنِّى لَسْتُ أدْرِى مَا هِيَه
فَمَتَى تَعْـــرِفُ ذَاتى كُنْهَ ذَاتـــى؟ لَسْتُ أدْرِى(٦٦)

---

(٦٤) ديوان صورة الشباب ص ١١

(٦٥) من كبار شعراء المهجر ومن أعضاء « الرابطة القلمية » ولد فى قرية المحيدثة فى لبنان سنة ١٨٨٩ وسكن الاسكندرية سنة ١٩٠٠ يبيع السجائر، وأولع بالأدب والشعر حفظا، ومطالعة ونظماً، ثم هاجر إلى أمريكا سنة ١٩١١ فاستقر بها ، من دواوينه : الخمائل والجداول ، توفى فى بروكلن سنة ١٩٥٧ . أنظر الأعلام جـ١٠ ص٣٥.

(٦٦) أجمل ما كتب شاعر الطلاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦ ص١١.

وهكذا نحا أبو فاشا نفس المنحى ، عندما يتوجه إلى نفسه مستبطناً عالمها الخاص ، ومناقشاً من خلالها فكرة الوجود ، ثم يأتى بالحجة مقيماً عليها الدليل .

ومهما يكن من شطحات ، تبدت فى خروج الشاعر عن الإطار الإيمانى ، إلا أن هذه الأبيات ، تنتظم فى سياق الحكمة والعظة ، لما لها من توافق ودلالة على واقع النفس ووجودها .

يقول خليل مطران :

إن طاهر أبا فاشا يذهب بخياله مذاهب بعيدة شائقة ، فحيث يسعده التعبير ، يبلغ الإفصاح ويطرب ، وحيث يخطئه التثبت من المفردات ، أو تشتبه عليه الأعاريض يبدو لك أنه ينظم بفطرته ، فى ثورة لا ترى للضوابط المسنونة حقاً عليه فى الرعاية[٦٧] ولهذا حفلت أشعاره بكم من الألفاظ الدراجة ، التى تكاد تقترب من العامية ، أو هكذا يخيل إلينا ، نظراً لاستخدامها فى عبارات العامة، وإن كانت من العربية الفصحى ، وتلك أهم سمات الشعر عند أبى فاشا .

لقد انتهج أبو فاشا أسلوباً بعينه ، وإن كان يسير فى إطار سابقيه من أصحاب الحس الرومانسى ، غير أنه أسلوب يمتزج بروحه الساخرة ، التى تمخضت فيما أبدع من أشعار ، تبدى فيها جانب الفلسفة والتأمل ، ورؤية الوجود ، وبهذا اختصر الشاعر الزمن ، راصداً ومحللاً لأفكار سابقيه ، فأطلوا برؤسهم على أفكاره ومعانيه ، حتى دخلوا عالمه الشعرى من أبواب واسعة ، فرأينا رابعة العدوية ، والحلاج ، ثم الخيام ، وابن عربى[٦٨] كما رأينا أبا العلاء المعرى ، وإيليا أبى ماضى ، ثم العقاد ، وكثيرين غيرهم ، ممن شغلت بأفكارهم العقول ، وتناجت بأقوالهم الصدور .

وهكذا كانت شخصية طاهر أبو فاشا ، الذى يرى أن الإنسان فى سفر دائم ، فإن لم يكن فى المكان ، ففى الزمان . فيقول متهكماً :

وَمَا العَيْشُ إلاَّ أنْ تَسيرَ إلى الرَّدَى ... فإنْ لَمْ تَسرْ ياصَاح سَارَ بِكَ الدَّهْرُ

وَهَلْ أنْتَ فى دُنْيَاك إلاَ مُسَـــافِرٌ ... تَقَدَمَه سَفَرٌ، وأعْقَبَهُ سَفَرٌ؟![٦٩]

---

(٦٧) مقدمة ديوان الأشواك .

(٦٨) هو محمد بن على بن محمد بن عربى أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى المعروف بمحى الدين بن عربى (٥٦٠ - ٥٣٨هـ / ١١٦٥ - ١٢٤٠م) فيلسوف من أئمة المتكلمين فى كل علم ، ولد فى مرسية بالأندلس ، وانتقل إلى أشبيلية ، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة . أنظر الأعلام للزركلى جـ ٦ صـ٢٨١ .

(٦٩) ديوان :الأشواك : صـ ٢٢١.

ويدخل فى باب الحكمة هذا البيت ، مع ما يحمله من فتور وتشاؤم :

وَمَا نَحنُ وَالآيَّامُ إلاَّ صَنَائِعُ يَرُوحُ بِنَا شَرٌ وَيَغْدُو بِنَا شَرٌ ![٧٠]

والحياة عنده مشهد واحد ، يروح ويغدو ، ليتكرر فى كل يوم :

أَفَكُلُ الحَيَاة صَحْوٌ ونَوْمٌ وَرَكُوبٌ لِجَامِحِ الشَّهَوَات

وَسنِينٌ تَمُرُ إِثْرَ سِـــنِينٍ ذَاهِبَات بِشَـــرِّهَا آتِيَات

مَنْظَرٌ وَاحِدٌ يَرُوحُ وَيَغْـدُو أَوْ كِتَابٌ مُكَرَّرُ الصَّفَحَات..![٧١]

تلك هى الحياة كما يطل عليها الشاعر، من دياجير عالمه النفسى المعتم ، المختفى وراء الذات الشاعرة المبدعة ، تواترت فى هذه المعانى المترادفة ، فى حلة من الحكمة ، يقول ابن طباطبا أيضا فى الجيد والردئ من الشعر :

فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة ، أنيقة الألفاظ ، حكيمة المعانى ، عجيبة التأليف ، إذا نقضت وجعلت نثراً لم تبطل جودة معانيها ، ولم تفقد جزالة ألفاظها ، فبعضها كالقصور المشيدة ، والأبنية الوثيقة الباقية على مر الدهور، وبعضها كالخيام الموقرة التى تزعزعها الرياح وتوهيها الأمطار ، ويسرع إليها البلى ، ويخش عليها التنوض[٧٢].

والأشعار المحكمة ، هى تلك التى تصدر عن شاعر حكيم فيلسوف ، يقول "بودلير"[٧٣]:

إنه بالشعر ، ومن خلاله ، تدرك الروح الروعة الكامنة فيما وراء الحياة ، حين تنجح القصيدة ، فى أن تجعل الدموع تطفر من عينيك [٧٤] والذى لاشك فيه ، أن ذلك لايتحقق إلا للخاصة من الناس ، الذين أوتو حظاً وافراً من الخلق والإبداع والتأمل ، الذى به يرتفعون إلى مرتبة الفلاسفة والأنبياء ، لأنهم يستقون من نبع واحد ، هو نبع المعرفة والتسامى اللامحدودين " فالشاعر يخاطب دائماً شخصاً آخر بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، نتيجة عواطف متباينة ، تتزاحم فى أعماق وعيه ، أو رؤاه الحالمة ، فيتقمص شخصية نبىٍّ ، أو محبٍ أو مفكرٍ ، أو راثٍ ، أو ساخرٍ ، أو هجَّاء[٧٥]ليخرج من المعانى

(٧٠) ديوان : الأشواك : ص ٢٢٢.

(٧١) المصدر السابق : ص ٢١٢

(٧٢) عيار الشعر : ص ١١

(٧٣) هو الشاعر الفرنسى شارل بودلير (١٨٢١ - ١٨٦٦) م بشر بالمذهب الرمزى قبل أن يعلن عن مولده ، وهو صاحب ديوان " أزهار الشر" الذى أحدث ضجة فى الأوساط الأدبية ، وقد أطلق عليه لقب : الشاعر الرجيم .(مقدمة الديوان).

(٧٤) تشارلز تشادويك : الرمزية . ترجمة ابراهيم يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ ص ٤٢ .

(٧٥) الشعر العربى المعاصر : روائعة ومدخل لقراءته . ص ٨٠ .

التى تكمن فى ثنيات وجدانه نظماً هادياً للإنسانية ، وليس هناك من شك ، فى أن الشاعر الجيد ، هو ذلك الفيلسوف أو الحكيم الجيد .

لهذا رفع " بودلير" وأتباعه الشاعر إلى مرتبة القس أو النبى ، لأنه مزود بقوى تجعله يرى ماوراء الأشياء فى عالم الواقع ، ويذهب إلى الجوهر المختبئ فى العالم المثالى[٧٦] البعيد.

يقول الشاعر فى رثاء ابراهيم دسوقى أباظة[٧٧]:

وَفَاتَتْنى صَلاَةُ الدَّمْعِ ، لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ دمُوعِ الْقَوْمِ دَمْعِى[٧٨]

ثم يأتى الشاعر بمثال آخر من صميم هذا القول :

وَفَقْرُ غَنِيٍ ثَرَاءُ فَقِيرٍ فَمِنْ ذَاكَ هَذَا اسْتَمدَّ الحَيَاه

أرى الدهر بحراً إذ ما علا تحـــدر للمطمئن المـــياه[٧٩]

ومن مفردات الشعر عند أبى فاشا ، الحديث عن الدهر ، والزمان ، والسنين ، والأيام فيقول :

وما هُدِمَ الدَّهْرُ إلاَّ ليُبْنَى وَمَا شُيِّدَ الدَّهْرُ إلاَّ هُدِمْ[٨٠]

ويصور الشاعر حال الدنيا ، التى تمضى كسفين ماخرة ، والناس نيام من أمرها ، وقد تركت لتتفاذها المياه ، المنحدرة إلي سواقيها ، حتى تصل إلى مكانها :

إيه يَادُنْيَا رُوَيْداً .. لا. بَلْ امْضِى سَاخِرَه

إنَّما نَحْـــنُ نِيَامٌ فى سَفِينٍ مَـــــاخِرَه[٨١]

تُرِكَتْ دفَّتُهَا نَهْـــبِ السَّوَاقى الثَّـــائِرَه

فَمَضَتْ بَيْنَ صُخُورِ الغَيْبِ تَجْرِى عَـابِرَه

أتَرى "جُودِيُّها[٨٢] غَيْرُ صُخُورِ الآخِـــرَه[٨٣]

فى هذه الأبيات يسترجع الشاعر معنى قوله تعالى : ﴿ وقال اركَبُوا فِيهَا ﴾ إلى

---

(٧٦) الرمزية : ص ٤٣.

(٧٧) كان رئيساً لـ « رابطة أدباء العروبة » التى كان الشاعر عضواً بها .

(٧٨) ديوان راهب الليل : ص ٣٤٧ .

(٧٩) ديوان القيثارة السارية : ص ١٤٢.

(٨٠) المصدر السابق والصفحة .

(٨١) ماخرة : مخرت السفينة : جرت تشق الماء ، الماخرة السفينة (ج) مواخر .

(٨٢) الجودى : جبل استوت عليه سفينة نوح عليه السلام .

(٨٣) ديوان : راهب الليل : ص ٣٠١ .

قوله: ﴿ واسْتَوَتْ عَلَىَ الجودِيِّ وقيلَ بُعْداً للقَومِ الظَّالمين ﴾[٨٤] فنرى سفينة نوح ، وقد استقرت فى مكانها المقدر بعد تلك الرحلة المهيبة ، فى مقارنة بينها وبين رحلة أهل الدنيا عبر الآخرة .

وإذا كان الشاعر هنا يقترب من المعانى المطروقة ، وأمثال العامة ، فى تقريرية مباشرة ، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة التصوير، الذى أبرزه فى هذه الأبيات .

ثم يستحضر الشاعر صورة أخرى ، تمثل شيئاً من هذا المعنى ، فيقول :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَأكُلُ بَعْضَـهُ ... دَاءُ الزَّمَانِ تَنَازُعِ الأيَّـام !

أتَظُنُ أنَّ دَقيقَةً تَمْضى تَعُـو ... دُ وتَسْتَبِدُ بَعَاصِفٍ مُتَرامى؟!

وَالدِّيكُ يَلْتَقِطُ السِّنِينَ ! صِيَاحُه ... نَوْحٌ على الآبَادِ و الأعـوام[٨٥]

وبهذا يصل الشاعر إلى قمة التخيل ، والعمق ، والقدرة على استدعاء الصور والرموز ، عندما يجعل الدهر إنساناً ، يأكل بعضه بعضاً ، ثم يتبع ذلك بصورة غاية فى الإبداع والتأمل ، عندما نرى الديك وكأنه يلتقط السنين ، وصولاً إلى العدم والفناء ، ولهذا تترى أشعار الحكمة عند الشاعر ، محلقة مع روحه الساخرة المتأملة ، فتستريح لها النفس ، وتتسامى معها ، بعد أن تهيم بوجدانها فى هذا العالم الجديد، ذلك العالم الذى نسجه بإحكام ، ليحدث معادلاً موضوعياً مع هذه النفس ، السابحة فى سماوات الشك والحيرة والتشاؤم ! .

هَلْ رَأيْتَ الرَّاكضَ المَجْنُونَ يَعْدُو خَلْفَ ظلِّه

جَـاهداً يَسْبِقُه الظِّـلُ وَيغْريـه بنَوْلِه

هُـوَ مِنْهُ خُـطوةٌ لكنَّها كالـكَوْنِ كُلِّه

هكَذا الإنْسَانُ فى الدُّنْيَا ضَليلاً خَلْفَ عَقْلِه

كُلَّما ازْدَادَ عُلُوماً زَادَ إيقَاناً بِجَهْلِه[٨٦]

لقد جعل الشاعر ما بين الظل والإنسان ، كالكون كله فى اتساعه وتناهيه ، فإذا كان الإنسان رغم محاولاته الدءوبة ، لا يستطيع أن يدرك ذلك الظل ، فهكذا تكون المسافة بين الجهل والمعرفة ، أو بين العقل والإنسان ، وكل هذا إنما يرمز إلى عجز الإنسان عن إدراك الحقيقة ، سواء كانت حقيقة الوجود القائم ، أم حقيقة نفسه هو كجزء من هذا الوجود .

---

(٨٤) سورة هود : الآيات من (٤٢-٤٤).

(٨٤) ديوان : الأشواك : ص ٢٠٤ .

(٨٦) ديوان : راهب الليل : ص ٣٠٢ .

وليس هناك من شك فى أن "من أهداف الشعر أن يخلق عالماً وراء الحقيقة ، وذلك بتحويل الحقيقة تحويلاً عميقاً عن الصورة التى نعرفها[٨٧] فى عالمنا الواقعى الطبيعى ، إننا لانرى الشعر بقدر ما نرى عالم الشاعر النفسى، ذلك العالم الذى يختفى وراء الألفاظ والكلمات ، ومن هنا " اختلف الشعراء فى نظرتهم الى الطبيعة إختلافاً بيناً ، فمنهم من يرى وجهها الضاحك ، ورياضها المزدهرة ، وأطيارها المغردة ، وشمسها الضاحية ، ونجومها الزاهية ، ومروجها الخضراء ، ومياهها الندية ، وأريجها الشذى ، ومنهم من يرى وجهها العابس ، فلا يحس إلا ليلها الأسود ، وسماءها الملبدة بالغمام ، وريحها الزفوف[٨٨] وأعاصيرها الجارفة ، وبراكينها التى تصب الحمم ، وزلازلها المدمرة ، وأمطارها الجارفة العنيفة ، ومفاوزها المهلكة ، ومنهم من يراها فى كلا وجهيها ، فينتشى طرباً حين تصفو وتحلو وتشرق ، ويكتئب حين تزمجر وتغضب ، وترينا وجهها الكالح[٨٩] .

ولهذا تتفاوت درجات الشعر، ومدى إجادته بين الشعراء ، طبقاً لحدة الرؤية ، ورهافة الشعور، وتنوع الإبداع ، ليكون فى " الخير أو الشر "[٩٠] ليتحقق من ذلك كله غايات وأهداف ، تبتغيها النفس البشرية وتصبوا إليها ، إنها غايات الأدب السامى ، الذى يشد قيم الحق والخير والجمال .

* * *

(٨٧) الرمزية : ص ٤٣ .

(٨٨) زفت الريح زفيفاً وزفزفت : هبَّتَ هبوباً ليناً ودامت .

(٨٩) عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث جـ٢ دار الفكر العربى القاهرة (د.ت) ص ٣١٠.

(٩٠) ابن رشيق القيروانى : العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، تحقيق د. مفيد محمد قميحه ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ ص ٨٥ .

٤- الجانب الدينى :

إذا تحدثنا عن الجانب الدينى عند الشاعر طاهر أبو فاشا، فإننا نجده وقد شابه شئ من الإهتزاز العقائدى، حيث نرى صوراً من ملامحه الإيمانية ، التى تجعل منه شخصاً متمرداً على الدين والأخلاق ، فإذا نحينا قصائده فى العشق والجوى جانباً ، بما تحفل به من تعبيرات ، وذلك من منظور الوجد العاطفى وعلاقة الآخر، فإننا نقف حائرين إزاء الحكم على هذه الأشعار ، حيث نجد مروقاً وزندقة واضحين ، ففى قصيدته "حدثونى" خلط الشاعر بين كثير من القضايا الكونية ، والمعايير الأخلاقية ، التى تمس جانب العقيدة وتحط منها.

يقول الشاعر :

قَالَ لى قَوْمٌ لماذا لَمْ تَصُمْ وَالصَّوْمُ زَاد ؟
لا تَلُومُوا إنَّنى صُمْتُ وَلَكِنْ بالفُـــؤَاد!
صَامَ قَلْبى فَانْصَرَفْتُ عَنْ أَضَاليلِ العِبَاد (٩١)

فى هذه الأبيات ، يتجاوز والشاعر الحدود الفاصلة ، التى جاء بها الدين الحنيف ويرتكز عليها، وهى حدود لاتقبل الشك ، أو الجدل ، أو التلاعب بالألفاظ ، إنها حدود تمثل قاعدة لأصول الشريعة الخمس ، التى يعتنقها أصحاب هذا الدين ، الذى يعد الصوم واحداً من أركانه .

فظاهر القول هنا ، أن الشاعر ينكر فرضاً من تلك الفروض ، ويبطل واحداً من أس الشرائع الإلهية ، ويعلن ذلك فى شبه هذيان ولغو وسخرية ، ليعبر ذلك - جميعه - عن شاعر لم يجد الدين فى قلبه موضعاً ، ثم يقول فى ذات القصيدة ، وهى من القصائد التى تمثل فكر الشاعر بصدق وواقعية ، كما أنها تؤكد شطحاته وتطاوله ، وبخاصة فى مراحله الأولى :

سَـــلْ فُلاناً كَيْفَ آمَنْتَ بِرَبِّ العَالمين؟!
سَلْهُ هَلْ فَكَّرْتَ فى دينٍ به أَنْتَ تَدين؟!
آمَنَ المـــرْءُ لأنَّ الأَهْلَ كانُوا مُـــؤْمنين .
لَيْتَ شِعْرى، هَلْ بعَقْلٍ يُؤمنون؟ حدِّثُونى (٩٢)

---

(٩١) ديوان : صورة الشباب : ص ٣٣.
(٩٢) المصدر السابق والصفحة .

وإذا كان ظاهر القول حقاً ، فقد ينطبق ذلك على بعض ممن ينتسبون - اسما - إلى الدين ، دون تطبيق لأوامره ونواهيه ، على أن ذلك لو كان يصدق بمثال ، فهل يصدق على الناس جميعاً ؟!!

ومن الطبيعى هنا ، أن يحفل النص ببعض الإسقاطات ، التى تمثلت فى استدعاء الشاعر لمعانى القرآن الكريم ، حيث استدعى الخطاب الشعرى ثلاث عشرة آية ، تحمل هذا المعنى(٩٣) فى مثل قوله تعالى :

﴿ وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وإلى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَوْ كان ءَابَآؤُهم لايَعْلَمُونَ شَيْئاً ولايَهْتَدُون ﴾(٩٤).

حيث نجد التناص بين الخطاب الشعرى (الحاضر) والخطاب القرآنى (الغائب) رغم اختلاف مستوى الخطاب فى الحالين باختلاف (المخاطب) فالأول : موجه إلى من ينتمون بالفعل إلى الدين ، أما الثانى : فالخطاب على ألسنة المشركين أنفسهم ، الرافضين للدعوة، ففى الأول : تحققت فيه المثلية والتساوى ، أما فى الثانى فهو خطاب من الأدنى (المشرك) إلى الأعلى (القائم على أمر الدعوة) .

فماذا يرى الشاعر؟! وماهو البديل؟! ذلك مايجيب عليه الشاعر نفسه :

آمن المرء لأن الأهل كانوا مؤمنين ثم يردف: هل بعقل يؤمنون؟ حدثونى .

ثم يسترسل الشاعر مستهجناً أفعال العابدين المتقين فيقول :

عَابدُو اللّه أنَابُوا للتُقَى خَوْفَ الحسَابْ أوْ رَجَاءً فى نَعيم أوْ فِراراً مِنْ عَذَابْ(٩٥)

فى استرجاع لشعر العاشقة المتصوفة ، التى تقول فيه :

كُلُهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ وَيَرَوْنَ النجَّاةَ حَظّاً جَزِيلاً(٩٦)

وإذا كان " التناص" بين الشاعر ورابعة يصل إلى حد التطابق ، من حيث المعنى ، إلا أن الفرق هنا كبير !!

فمع أن الخطاب عند كل منهما موجه إلى « الضمير الغائب » غير أن الخطاب لدى الشاعر على إطلاقه، بينما تردف رابعة فتقول :

لَيْسَ لى فى الجَنَانِ والنَّارِ حَظٌّ أنا لا أبْتغى سِواك بَدِيلاً(٩٧)

---

(٩٣) فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣ وما بعدها ، مؤسسة جمال للنشر بيروت (د. ت).

(٩٤) آية (١٠٤) المائدة .

(٩٥) ديوان : صورة الشباب ص ٣٣.

(٩٦) الأدب فى التراث الصوفى : صـ ١٣٠.

(٩٧) السابق والصفحة .

ثم يجئ ذلك - تفصيلاً - فى قولها : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً فى جنته ، فأكون كالأجير السوء ، إن خاف عمل ، أو إذا أعطى عمل ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه!(٩٨)

بهذا يصدر الشاعر أحكامه الجائرة ، يلقيها على الآخرين ، فى خروج ، واستهتار، وسخرية .

أما قصيدته " وصية شاعر " فإنها تحفل هى الآخرى بكم وافر من تلك المعايير، التى تتحلى جملة من الدين ، فماذا جاء فى تلك الوصية؟ ذلك ما سوف نعرفه فى استكناه لأفكارها ومعانيها ، كما جاءت على لسان الشاعر نفسه ، الذى يقول :

أنَا إنْ متُّ فاقْرأو لى قليـــــلاً منْ هَديلِ الحَمَامِ فى الأفْـنَان
اجْمَعُوا الصُحْبَ واقْرأوا فوق قبَرْى قطْعَةً منْ هَوَى صَريعِ الغَوانى
وإذَا أحْضَـــرُوا هنـــــاك فقيهاً مُقْرئاً " فاطْرُدُوه " عَنِّى بعَيداً
واجْعَـــلُوا مكَـــانَه كَـــــرَوَاناً يَقْرأُ الحُبَّ ، وَالوَفَا، والعُهُودا(٩٩)

فالشاعر لايريد أن يُقرأ القرآن على قبره ، كما يحدث عادة مع الموتى ، وإنما تهفو نفسه إلى نوع آخر من القراءة ، تتلاقى معها هذه النفس وتصبوا اليها ، تلك هى أحاديث الحب والجوى ، كما جاءت عند شاعرها ، الذى يلقب بـ « صريع الغوانى »(١٠٠) وكأن هناك ما يربط بين الشاعرين .

وليس ذلك فحسب ، وإنما يصل به التجاوز مدىً بعيداً ، عندما يقول :

وإذَا أحْضَرُوا هُنَاكَ فَقيهاً مُقْرِئاً «فاطْرُدُوهُ» عَنِّى بعيداً

---

(٩٨) د. عبد المنعم الحفنى : العابدة الخاشعة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين ط . ثانية - دار الرشاد - القاهرة ١٩٩٦ . صـ ١٧.

(٩٩) ديوان القبثارة السارية : صـ ١٢٠.

(١٠٠) هو مسلم بن الوليد الأنصارى (ولد بالكوفة حوالى سنة ١٤٠هـ وتوفى بجرجان ٢٠٨هـ)وقد أطلق عليه هذه التسمية الخليفة الرشيد عندما سمع قصيدته التى يقول فيها :

وما العَيْشُ إلاَّ أنْ تَروحَ مِنَ الصبَا
صَريعَ حَميًّا الكأسِ والأعْيُنِ النُّجلِ

وقيل أن رجلاً سأل مسلم بن الوليد لماذا تدعى صريع الغوانى ؟ فأنشأ يقول :

إنَّ وَرْدَ الخُـــدُود والأعْيُنِ النُّجْـ ـلِ وَمَا فى الثُّغُورِ منْ أقْحُوَانِ
وَاسْوِدَادَ الصُدْغَيْنِ فى أوْضَحِ الخَـ ـدِ وَمَا فى الصُـدُورِ منْ رُمَّانِ
تَرَكَتْنِى لَدى الغَوَانِى صَـــرِيعاً فَلهذَا أُدْعَى " صَرِيعُ الغَوَانِى "

(د. سامى الدهان : مقدمة شرح ديوان :صريع الغوانى - دار المعارف بمصر ط . ثانية ١٩٧٠ .وانظر عنه الأعلام للزركلى جـ٧ ص ٢٢٣.

فأى إهانة تحملها هذه الكلمة «الطرد» لحاملى القرآن؟ بل وللقرآن ذاته ، من شيخ أزهرى النشأة ، عاش سنواته الأولى فى ظلال هذا القرآن !!

وكان العقادُ أبلغَ تعبيرٍ، وأصدَق نفسٍ ، عندما تناول تلك القضية من رثاء النفس ، فيقول :

إذا شَيَّعُونى يَوْمَ تُقْضَى مَنِيَتى ... وَقَالُوا أَرَاحَ اللّه ذَاكَ المُعَذَّبَا
فلا تَحْمِلُونى صَامِتين إلى الثَّرى ... فَإِنِّى أَخَافُ اللَّحْدَ أَنْ يَتَهَيَّبَا
وَغَنُّوا فَإِنَّ المَوْتَ كَأْسٌ شَهِيَّةٌ ... وَمَازَالَ يَحْلو أَنْ يُغَنَّى ويُشْرَبَا
ولا تَذْكُرُونى بالبُكاءِ وَإِنَّمَا ... أعِيدُوا عَلى سَمْعى القَصيدَ فَأُطْرِبَا[١٠١]

ومن ثم لم نلمح خروجاً ما فى قصيدة العقاد ، وإنما رأيناه مقبلاً غير هياب على الموت، تحفه نشوة اللقاء .

أما عند أبى فاشا ، فإننا نرى خروجاً سافراً وتحللاً ، فى ثوب من التهكم والسخرية، حيث يفضل الشاعر حديث الجوى والهيام ، الذى هو عنده أشهى من القرآن وسماعه ، فيقول :

إنَّ شَيْخَ الطُّيُورِ أطْهَرُ قَلْباً ... مِنْ شيوخٍ لا تَفْقَهُ الآلاما
أيْنَ مَنْ يَقْرأ الكتابَ بأجْرٍ ... مِنْ سَجُوعٍ بالحُسْنِ هَامَ هُيَاما
إنْ بَيْنى وَبَيْنَهُ صِلةُ الشِّـ ... ـعْرِ والحُبِّ، والجَوَى والسُّهادِ
فَهُو شَادٍ بحبِّه لقُلُوبٍ ... اصْطَفَاهَا للشِّعر رَبُّ العِبَادِ
وإذَا ما فَرَّقْتُمُو صَدَقَاتٍ ... فاجْعَلُوهَا قَصَائداً ونَشِيداً
فَإذَا لَمْ يَرُقْهُمُو مَا صَنَعْتُمْ ... فَاسْتَزِيدُوا عَلَى القَصِيدِ قَصِيداً[١٠٢]

وإذا كان الشاعر يهاجم بعض المشايخ المرتزقة ، فليس ذلك داعياً إلى التعميم . ولهذا تفاوتت تعبيراته وتناقضت فيما بينها، لترمز إلى ذلك السبيل ، الذى يسير عليه ، ويهتدى به .

ومن ثم جاءت تلك الأشعار صورة تنم عما يدور فى هذا الخيال المهترئ ، يقول الشاعر : إن شيخ الطيور أطهر قلباً .... فمن هو شيخ الطيور هذا وما حقيقته؟ ومن يدريه أن الشيوخ لاتفقه الآلاما ؟ وهل كل الشيوخ كذلك ؟.

ومن هنا فإن هذه القصيدة تمثل مع قصيدته « حدثونى » ما كان عليه حال الشاعر

---

(١٠١) ديوان العقاد : المجلد الأول - بيروت . (د.ت) ص ٨٥ ، ٨٦ .
(١٠٢) ديوان القيثارة السارية : ص ١٢١.

آنئذ ، فقد حفلتا - مع بعض قصائده الأخرى - بالشك والحيرة ، والقلق النفسى ، والتأرجح الدينى ، كما بينا .

ويبرز الشاعر غاية ما فى نفسه من تعبيرات مباشرة ، فيقول :

أقْعُدُوا لى على ضَريحى فَتَاةً ... وَضَعُوا مِنْ كُلِ الازَاهِرِ عِنْدَه

وإذَا مَـرَّ سَائلٌ فَدَعُـوهَا ... تَتَصَدَّق على الفقير بوَرْدَة(١٠٣)

ثم يقترب الشاعر من أئمة الأدب المكشوف، أمثال أبى نواس(١٠٤) وبشار(١٠٥) وغيرهما من دعاة هذا اللون فى الأدب العربى ، مشيراً فى غير حياء أو مواربة إلى حياته التى كانت تعج باللهو والهوى ، فيقول :

واجْعَـلُوا القَـبْرَ للغَـرامِ مَـزَاراً ... تَقْصُدُ النَّاسُ فيه شَيْخَ الغَرام

يَذْرِفُـونَ الدُّمُـوعَ فـوق إمَـامٍ ... وإمَـامُ الغَـرَامِ أىُّ إمَـام

وأجيبُوا : قَـدْ كَـانَ صَبًّـاً مُعَنىً ... هَامَ بالحُسْنِ ما أطاعَ أنَـاته

وأرْتَضَى قَلبُه «كُيُوبيدَ»(١٠٦) مَرْمَاً ... فاتركونا نَرويه مِمَّا أمَاته(١٠٧)

ومهما يكن من تبريرات ، فليست العقائد مجالها السخرية والاستهزاء .

يقول الشاعر :

وَقِفُوا عِنْدَ وِرْدِهَا فى خُشُوعٍ ... تَذْكُرُونَ الوَفاءَ للحب سَاعَة

وإذَا مَـا دَعَيْتُمو لصَـلاةٍ ... فَأنيبُوا إلى الجمال جَمَاعَه(١٠٨)

وفى قصيدته «أنا» يعترف الشاعر بهذا النهج ، الذى ارتآه طريقاً فى الحياة ، رغم سخط الساخطين :

أنَا حُرٌ مادُمْتُ أرْضِى ضَمِيرى ... فَلْيَدَعْنى مِنْ شَاءَ أوْ فَلْيُدَانى

وَلْيَقُلْ مِنْ شَاءَ ما شَاءَ خَلْفى ... فى خَفَاءٍ .. والدَّسُّ سَيْفُ الجَبَان

وَلْيَشُنُّوهَا غَـارَةً مِنْ خِـدَاعٍ ... وَلْيَغُلُّوا إذَا اسْتَطَاعُوا لِسَانى(١٠٩)

---

(١٠٣) ديوان : القيثارة السارية : ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٠٤) الحسن بن هانئ (ت ٢٠٠هـ/٨١٥) شاعر العراق فى عصره ، ولد فى الأهواز من بلاد (خوزستان) ، ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد فاتصل بالخلفاء من بنى العباس :أنظر الأعلام جـ٢ ص ٢٢٥ ، وانظر ترجمة له فى مختار الأغانى لابن منظور جـ٣ ص ٥ وما بعدها .

(١٠٥) بشار بن برد العقيلى بالولاء (٩٥-١٦٧هـ/٧١٤-٧٨٤م) أشعر المولدين على الإطلاق ، أصله من (طخارستان) ونسبته إلى أمرأة عقيلية ، قيل أنها أعتقته من الرق . وكان ضريراً، أنظرالأعلام جـ٢ ، ص٥٢ .ومختار الأغانى جـ٢ ص ٣٣.

(١٠٦) كيوبيد : إله الحب عند اليونانيين القدماء .

(١٠٧) ديوان : القيثارة السارية : ص ١٢٢.

(١٠٨) المصدر السابق والصفحة .

(١٠٩) المصدر السابق ص ١٣٣.

وفى ظل هذا يكشف الشاعر، كما كشف من قبل ، عن ذلك المنهج العقيم ، وتلك القيم الإيمانية المتهالكة ، فى وضوح دون خشية ، أو خجل ، أو تردد .

وليس ذلك بكبير على الشاعر ، الذى يصل به ذلك الشرود ، إلى استخدام كلمات التنزيه ، والإجلال لله سبحانه وتعالى ، فى مواضع الحب الحسى ، والغزل المكشوف ، فيقول :

طَأْطِئِ الرَّأسَ لِلجَمالِ وَآلِه ثُمَّ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَجَلالِه (١١٠)

ثمة ظاهرة أخرى ، نجدها فى انتهاج الشاعر لآراء بعض الفرق الإسلامية ، تلك الآراء التى ترى ، أن الإنسان ما هو إلا ريشة فى الفضاء ، يتقاذفها الهواء كيفما يشاء ، فلا يملك هذا الإنسان من أمره شيئا ، فكان ذلك مدعاة إلى اقتراف الذنوب والآثام ، تحت شعار ، أن الله قدر على عباده كل شئ ، وأن الإنسان مجبور على ذلك ، لا يملك حرية الاختيار.(١١١) فيقول :

والذَّنْبُ يا رَبَّاهُ مَنْ ذَا صَوَّرَه؟ مَنْ قَالَ كُنْ ذَنْباً وَمَنْ ذَاقَدَّرَه؟
قَدْ جِئْتُهُ عَمَداً لكَيْمَا تَغْفِرَه وَمِنْ صلاتى بكَ دَمْعُ المَعْذِرَة
فَقَدْ عَبَدْتُ فيكَ ماقَدَرْتَهُ أرَدْتَ يارَبِّى مَا أرَدْتَهُ
فمَا الَّذى أجْرَمَ مَنْ نَحَتَهُ مِنْ صَخْرَةِ الإثْمِ الَّذى جَبَلْتَهُ
وإنْ أكُنْ عَصَيْتُ ما أمَرْتَهُ فإنَّنى أطَعْتُ مَا أبَرَمْتَهُ(١١٢)

وليس غريبا أن يصدر ذلك عن الشاعر ، فقد انتهت به تلك السبل إلى مرحلة من التشتت الفكرى والعقائدى ، ملكت عليه كل كيانه ، حتى وصلت به إلى الإرتياب فى حقيقة الشك نفسه .

لهذا كان من الطبيعى ، أن يتقلب الشاعر ، بين أتون ذلك الشك ومراجله ، يتضوى بنيرانهما المتأججة ، ولهيبها المضطرم ، حتى يهب صارخاً :

يا وحشةَ التيه التى أنا ضاربٌ فيـــها . وحيرةَ هذه الأفـكارِ
رُحْمَاكَ إنَّ الشَّكَّ يَلْدَغُ خَاطِرى فَأبِيتُ مُضْطَرِمُ الهَوَاجِسِ وَارِى
لُقْيَا الضَّوَارِى رَحْمَةٌ إنْ عِشتَ يَقْـ ـتُلُكَ التَّخوُّفُ أنْ تُلاقى ضَارِى(١١٣)

(١١٠) ديوان القيثارة السارية : ص ١٠٧.

(١١١) تنسب هذه الآراء إلى الجهمية ، فرقة من غلاة المرجئة ، تقول بالجبر والإرجاء ، وهم مرجئة "خراسان" أتباع جهم بن صفوان ، الذى قال بالإجبار والاضطرار فى الأعمال ، وإنكار الاستطاعات كلها ، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط . انظر : الفرق بين الفرق : ص ٢٢١ ، ومعجم الفرق الإسلامية ص ٨٥ ، ٨٦ .

(١١٢) ديوان الأشواك : ص ٣٠٨.

(١١٣) المصدر السابق : ص ٢١٠.

ومن ثم تداخلت لديه الرؤية ، واهتزت أمامه المعايير ، واختلطت عليه الحقائق ، ومع ذلك فقد كشف النقاب عن تلك النفس ، السجينة وراء عالمها المظلم الكئيب ، الذى تتيه فيه ونهوى ، فتصطدم رغباتها ، وتتنافر أحوالها ، مع ما يحيط بها فى هذا العالم ، الذى نسجته حولها بفن وإحكام ، فلا تستطيع الخلاص منه ، أو الثورة عليه ، بينما أفرغت ثورتها على الجماعة الإنسانية ، فى إسقاط يرتدى ثوب التبرير . فما هى وجهة نظر الشاعر؟! تساؤلات فى حاجة إلى إجابة ، والإجابة تكمن فيما بين أيدينا من أشعار ، تسجل خواطره ، وفكره المهتز.

ونحن لا نتهم الشاعر هنا ، بقدر ما ندور فى إطار تأويل النص ، وإلا سرنا فى ركب أفكاره وشطحاته ، التى تبدت لنا فى هذه التناولات .

ففى استقرائنا لديوانه الشعرى ، وتتبعنا لمسيرته ، الفكرية والإجتماعية ، وجدنا عقلاً مجهداً ، وفكراً مشتتاً ، وقلباً متعباً ، ووجداناً متصدعاً ، لازمه حتى أشعاره الأخيرة ، التى جادت بها ربة الشعر ، بعد انقطاع يربو على الأربعين سنة [١١٤] فعدل عن ذلك ، وقد كبرت سنه ، وانطفأت جذوة الشباب داخله ، فعاد إلى ظلال يحتويها النور والرجاء ، يرنوا إليها خائفاً متوجساً من بعيد .

* * *

(١١٤) أصدر ديوانه " راهب الليل " سنة ١٩٨٣وكان ثالث دواوينه " الأشواك" قد صدر سنة ١٩٣٨ .

٥ - الحب الإلهى :

الحب الإلهى ، مصطلح شاع لدى أئمة التصوف ، منذ القرن الثانى الهجرى ، من أمثال رابعة العدوية ، مروراً بالحلاج ، ثم ابن الفارض ، فابن عربى وغيرهم من أعلام التصوف ، أولئك الذين كانت لهم جولات ، وشطحات ، وكرامات .

وإذا كان الشاعر غير الصوفى ، يعبر عن أشياء حسية ، بإشارات مباشرة ، فإن الشاعر الصوفى ، يعبر بتلك الإشارات فى غير ما تعارفت عليه اللغة ، إن الكأس ، والخمر ، والحبيبة ، والجوى ، والوصل ، وغير ذلك من ألفاظ ، عرفت فى شعرنا العربى ، هى علاقات ورموز ، تشير إلى مرموز أعلى ، هو حب الذات الإلهية دون سواها ، "فالشعر الصوفى برمزيته الأسلوبية والموضوعية ، هو صاحب نزعة ، سيريالية ، والمذهب السيريالى، يدعو إلى التحلل من كل منطق تقليدى ، ويبين دور اللاوعى فى العمل الفنى، مؤكداً التداخل بين الأحلام والواقع ، فالسيريالية هى التعبير عن الفكرة فى غيبة أية رقابة قد يمارسها العقل ، وبعيدا عن أى اهتمام جمالى ، وكذلك ينزع الشعر الصوفى ، الذى يتحدث عن أعماق النفس ، حديث الرؤى والأحلام ، والعقل الباطن"[١١٥].

وفى ضوء هذا لا ينبغى أن نحكم على تلك الأشعار حكماً بعيداً عن تلك الرموز والإيماءات " فالرمزية يمكن تعريفها بفن التعبير عن الأفكار والعواطف ، ليس بوصفها مباشرة ، ولا بشرحها من خلال مقارنات صريحة ، وتشبيها ، أو بصورة ملموسة ، ولكن بالتلميح إلى ما يمكن أن تكون عليه صورة الواقع المناسب ، لهذه الأفكار والعواطف"[١١٦] لهذا تتسع الهوة العميقة ، وتتضخم الفجوة التى يهيم فيها الشاعر الصوفى ، بخياله ووجدانه ، وتعبيراته المنطقية لا فى سماوات الشعر وحده ، وإنما فى سماوات الروح الهائمة، المحلقة فى فكرة الربوبية ، التى لا تحدها حدود ، ولا تقف أمامها عوائق ، " فإذا كانت الفلسفة هى محاولة لكشف نواميس العلم ، ولفهم حكمة الله وأسراره فى مختلف جوانب المعرفة ، فإن التصوف هو محاولة ، لكشف حكمة الله فى شتى جوانب الحياة ، مع رحمة الله المنبثة فى السماء والأرض ، ولشهود جمال هذا الكون العظيم وجلاله ، وتمتع القلب والروح بلذة المشاهدة ، للصعود عن طريق ذلك إلى رحاب القدس الأعلى ، فالعقل هو أداة التفكير الفلسفى ، والروح أو القلب ، هما أداة الفهم الصوفى ، ولذلك كان

---

(١١٥) الأدب فى التراث الصوفى : ص ١٧٧.

(١١٦) الرمزية تشارلز تشادويك (المقدمة) : ص ١٨.

التصوف فطرة قائمة فى النفس الإنسانية ، شأنه فى هذا شأن التدين ، وإن كانت نشأتهما واحدة ، وغايتهما واحدة وكان كل منهما مكملاً للآخر."(١١٧)

غير أن ذلك لايكون إلا لمن أوتى قدراً من هذه الوشائج ، والأواصر القادرة ، بين الذات الأعلى والذات الأدنى ، قال تعالى : ﴿ وما يَعْقِلُهَا إلاَّ العَالِمُون ﴾(١١٨) وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(١١٩) ولهذا تجاوزت أفكارهم ورموزهم آفاق الواقع ، وصورة المحسوسات المرئية ، إلى صورة أخرى ، لا ترى إلا بالبصيرة والقلب وحدهما ، هى صورة غيبية ، لا يدركها إلا فئة من هذه الصفوة العابدة ، القانطة ، المحبة الهائمة فى ذات الله ، " فالرمزية المتجاوزة أفاق العالم المرئى المشهود ، هى تلك التى تستخدم فيها الصور التى يخلقها الشاعر ، ليست كرموز لأفكار ومشاعر خاصة ، تعتمل بداخله ، وإنما كرموز ترسم صورة لعالم شاسع ومثالى ، يعتبر هذا العالم الواقعى بالنسبة له شبيها غير متكافئ ، وهو عالم مثالى يوجد فيما وراء الحقيقة ، ويشتاق الشاعر إليه ، ويجد نفسه هناك "(١٢٠)

وفى ضوء ما أجملنا ، نجد أن خصائص الشعر الصوفى ، تتلخص فى :

١- العناية بالنفس الإنسانية .

٢- النزعة السيريالية .

٣- التعبير عن الحب ، الذى انتهى بهم إلى الحب الإلهى .

٤- ثراء المعانى ، واتساع الخيال ، وتنوع الأغراض .

٥- التعبير عن وجدان الشاعر ، وعن ذاته ، وأعماق نفسه . فهو أدب وجدانى خالص ، وهو مذهب رومانسى حالم ، روحى الهوى .

٦- التنوع بين الزهد والحب الإلهى ، والمدائح النبوية ، وشعر الحكم ، والأدب ، وشعر التسبيح ، لتكون القصيدة كلها تسابيح لله."(١٢١)

إن هذا النوع من الأدب ، إنما يسمو بهذه العلاقة الراقية ، إنه نوع من الجمال الأسمى، والحب الأعلى ، الذى يرتقى بوجدان المحبين ، العاشقين لذاته العادلة ، " فهو حب

---

(١١٧) الأدب فى التراث الصوفى : ص ١٣.

(١١٨) الآية : (٤٣) العنكبوت .

(١١٩) الآية : (٢٦٩) البقرة .

(١٢٠) الرمزية (المقدمة):ص ١٨.

(١٢١) الأدب فى التراث الصوفى : ص ١٧٦(بتصرف).

يستخدم لتصوير أحوال الصوفية ، فيه نفس اللغة ، ونفس المعانى ، ونفس الآساليب التى استخدمها أصحاب العشق الإنسانى ، مع تحليقات وانطلاقات ، إلى آفاق لا تستطيع أجنحتهم الوصول إلى سماواتها ."(١٢٢)

إن الصوفى والشاعر كليهما يتأمل ، وكلاهما يستكشف ، ومع أن بعض الشعراء أحياناً ، يمرون بتجارب شبه صوفية ، فإنها تظل متميزة عن التجربة الصوفية الصرف ، فى أن موضوع الرؤية والتأمل يظل قائماً ، وواضحاً ، ومحدداً ."(١٢٣)

يقول د عبد المنعم الحفنى : ولقد كان طاهر أبو فاشا صوفياً فى القصائد الست(١٢٤) التى قدمها ، وأحسب أنه عاش حياة رابعة الحقيقية ، حتى أننا لنقرأ قصيدته " عرفت الهوى " فكأن رابعة هى التى صاغتها ، وكأن الزيادة التى أضافها على أبياتها الأربعة المشهورة ، هى من نسج رابعة نفسها ."(١٢٥)

لهذا نراه وكأن شيئاً قد جمع بينهما ، من حيث الإنابة والعودة إلى الله ، وكذلك من حيث المنهج الذى كانت عليه رابعة، ذلك الذى يحدد علاقتها بالحب الإلهى ، فهو منهج يقوم على الفناء فى ذات الخالق، بما عرف " بفناء الألم"(١٢٦) أى ألام الدنيا ، لأنها قد ذابت شوقاً فى عظمة هذا الخالق المحبوب ، من هذا العبد المحب ، غير أن ذلك منهج عام لدى أهل التصوف ، فهو فناء فى ذات الله عن الآلام الدنيوية وشرورها ، لدرجة يتلاشى معها هذا العبد المحب فيمن أحب، ورغم ذلك يختلف باختلاف هؤلاء الأعلام ، وطريقة كل منهم ، ونظرته إلى ذات المحبوب.

فإذا كان فناء عن ألام الدنيا عند رابعة ، فهو فناء يختلط بالحلول عند الحلاج ، وهو فناء يقول بوحدة الوجود عند ابن عربى ، وهو فناء بالاتحاد عند ابن الفارض ، تقول رابعة:

إنِّى جَعَلْتُكَ فى الفُؤَادِ مُحَدِّثى وأَبَحْتُ جِسْمى مَنْ أرَادَ جُلُوسى
فَالجِسْمُ مِنِّى للجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبى فى الفُؤَادِ جَلِيسُ(١٢٧)

---

(١٢٢) د. شوقى ضيف : فصول فى الشعر ونقده ، ط ثالثة - دار المعارف ١٩٨٨ ص ٢١٨.

(١٢٣) الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية :ص ١٩٧.

(١٢٤) لأبى فاشا سبع قصائد تمثل هذا الاتجاه . هى : لغيرك ما مددت يدا ، حانة الأقدار ، يقولون لى غنى ، صحبة الراح ، أحبك حبين ، فى بحار الندم ، عروس السماء . وردت جميعها فى ديوانه "راهب الليل" .

(١٢٥) رابعة العدوية : إمامة العاشقين والمحزونين ، ص ١٢٨ .

(١٢٦) د. عبد الرحمن بدوى : شهيدة العشق الإلهى جـ١ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة (د.ت) ص٨٧ .

(١٢٧) د. أبو الوفا التفتازانى : مدخل إلى التصوف الإسلامى - دار الثقافة القاهرة (د.ت)ص ٨٨ .

ويقول الحلاج :

أنَا مَنْ أهْوَى وَمَنْ أهْوَى أنَا ... نَحنُ رُوحَـــان حَلَلْنَا بَدَنَا
فإذَا أبْصَـــرْتَنى أبْصَـرْتَه ... وإذَا أبْصَـرْتَه أبْصَـــرْتَنَا
رُوحُـــه رُوحى ورُوحى رُوحُه ... من رأى رُوحين حلَّتْ بَدَنَا ؟!

ثم يقول :

عجبتُ منـــك ومـــنىً ... يا منيةً المتمنىً
أدنَيْتَنى مِـــنْكَ حَـــتَّى ... ظَنَنْتُ أنَّكَ أنِّى (١٢٨)

ويقول ابن الفارض :

وها أنَا أبْدِى فى اتِّحادِى مَبْدَئى ... وأنْهِى انْتهَائى فى تَوَاضُعِ رِفْعَتى
جَلَتْ فى تَجَلِّيهَا الوُجُودُ لناظِرِى ... ففى كُلِ مَرْئىٍّ أرَاهَا برؤيَتى
وَجَاءَ حَدِيثى فى اتِّحادى ثَابِتٌ ... رُوَايتُهُ فى النَقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ (١٢٩)

أما ابن عربى فإنه يقول فى هذا المعنى :

لَقَدْ كُنْتُ قبْلَ اليَوْم أُنكرُ صَاحِبى ... إذْ لَمْ يكُنْ دينى إلى دِينه دَانى
لَقَدْ صَارَ قلبى قابلاً كُل صُورَةٍ ... فمرعى لغزلانٍ ودِيرٍ لرهبان
وَبَيْتٌ لأوْثانٍ وكَعْـــبَةُ طائفٍ ... وألْوَاحُ تورَاةٍ وَمُصْحَفُ قُرْآنُ
أدِينُ بدينِ الُحـــبِّ أنَّى تَوَجَهْتْ ... ركَائبُهُ فالحبُّ دِينى وإيمَانى (١٣٠)

وينكر الدكتور أبو الوفا التفتازانى عليه ذلك فيقول : وهذا فى رأينا من الغلو الذى لا مبرر له ، فالعقائد والديانات متباينة ، ومنها الصحيح والفاسد ، فكيف يعلن جمعه لهذه المتناقضات فى عقيدة واحدة (١٣١).

ومن هنا اختلفت الأحكام على هؤلاء المتصوفة ، طبقا لتلك الرؤية ، وليس غريباً أن يختلفوا هم أيضاً فى رويتهم ، نحو الله والوجود ، غير أنهم يشتركون فى منظور واحد ، تجسد فى الحب الإلهى الخالص ، الذى طغى على كل شئ فى عالم الشهادة المرئى ، بعد أن هامت أرواحهم وذواتهم فى عالم الملكوت الغيبى ، فى مناجاة تنم عن الارتباط بهذا العالم ، فاغتربوا عن ذويهم ، وأقرانهم فى الجماعة الإنسانية ، التى يعيشون بينها ، فكان ذلك مدعاة لاتهامهم بتلك التجاوزات .

(١٢٨) ديوان : الحلاج : ص ٤٧ ، ٤٨ .
(١٢٩) ديوان : ابن الفارض : مكتبة زهران - القاهرة (د.ت) ص ٣٥.
(١٣٠) ديوان : ابن عربى : تحقيق د. محمد علم الدين - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة . ١٩٩٥. ص ٢٤٥ . ٢٤٦ .
(١٣١) مدخل إلى التصوف الإسلامى : ص ٢٠٤ .

لندرك مدى تمكنه ، وقدرته الفذة على التجديد والتطوير .[١٣٥]

يقول أبو فاشا ، فى استدعاء لمضامين الصوفية وأحوالهم ، مستقياً من ذلك الموروث البعيد ، الذى يستبطن عالمه الفياض ، سابحاً بين لججه وأمواجه الهادرة :

وَرُحْتُ إلى الطَّيْرِ أشْكُو الهَوَىَ
وأسْـــألُهُ ســـرَّ ذَاكَ الجَـــوَىَ
فَقالَ حَنَانَكَ مَـــنْ جَـــمْرِهِ
وَمِـــنْ صَحْوِ سَاقِيه أوْ سُكْـــرِهِ
وَمِـــنْ نَهيه فيكَ أوْ أمْـــرِهِ
سَلِ اللَّيلَ إنْ شِئْتَ عنْ ســـرِّهِ
ففى اللَّيلِ يَكْمُنُ سرُّ الجَـــوَىَ[١٣٦]

وجدير بالذكر أن نوضح ، أن الشاعر يتكئ على الموروث الصوفى الثرى ، متطلعاً إلى العالم الغيبى ، غير أنه هذه المرة من خلال تلك الحانة ، التى رمز إليها الشاعر الفيلسوف "بحانة الأقدار" فهل هى أقدار المحبين العاشقين لذوات البشر؟ أم هى حانة من نوع آخر ، يتيه فيها خيال الشاعر ؟ وتضطرب فيها رؤية الفيلسوف؟ :

ولَمَّا طَوَانى الدُّجَى والجَوَىَ لَقيْتُ الهَوَىَ وعَرَفْتُ الهَوَىَ
ففى حَانَةِ اللَّيلِ خُمَّـــارُهُ وَتلكَ النَّجَيْمَاتُ سُمَّـــارُهُ
وَنُحتَ خِيَامِ الدُّجَى نَـــارُهُ وَهَمْسُ النَّسَائمِ أسْـــرَارُهُ[١٣٧]

وتشكل قصيدة "صحبة الراح" مع "حانة الأقدار" لوحة واحدة ، تعبر عن الحان والخمر، وقد يكون الحان هنا رمزاً للدنيا وما فيها ، «فالمعانى الحسية التى يستعملها الصوفيون فى الدلالة على المعنى الروحية ، يرمزون بها إلى مفاهيم وجدانية ، على الرغم من الرداء المادى الذى تبدو فيه ، ومن ثم استعملوا الوصف الحسى ، والغزل الحسى ، وأرادوا بها معانى روحية[١٣٨] فى توظيف فنى ثرى ، لهذه الرموز ، فى غير ما وضعت له فى الأصل ، "فالرمزية هى محاولة لاختراق ما وراء الواقع ، وصولاً إلى عالم من الأفكار ، سواء كانت أفكاراً تعتمل داخل الشاعر بما فيها عواطفه ، أو أفكاراً بالمعنى الأفلاطونى ،

(١٣٥) مجلة الشعر : مقال لفاروق شوشه عدد (٥٥) ١٩٨٩.
(١٣٦) ديوان : راهب الليل : ص ٣١١.
(١٣٧) ديوان :راهب الليل : ص ٣١١.
(١٣٨) الأدب فى التراث الصوفى :ص ١٨٢.

بما تشتمل عليه من عالم مثالى ، يتوق إليه الإنسان ، وحتى تخترق سطح الحقيقة ، وصولاً إلى ما وراءها هناك فيض متراكم من الصور ، أو نوع من التجسيم ، لإعطاء بعد ثالث [١٣٩] ذلك البعد الذى تعبر عنه تلك الرموز ، رغم اختلافها أحياناً مع ما استخدمت فيه ، فى عالمها الواقعى المحسوس . فيقول :

يا صُحْبَةَ الرَّاح : أَهْلُ الرَّاحِ هَلْ حَانُوا
وَهَلْ تَغَنَّتْ عَلَىَ أيـــامِهَا الحَـــانُ
صَبَـا النُدَامَا ومَا فى الحَانِ أَلحَـــانُ[١٤٠]

ومن الشطط أن نحكم على الشاعر هنا ، أن سمة خروج عن المألوف قد مارسه فى هذه القصيدة . إن الشاعر فى هذه الرؤية الشعرية ، قد حقق غايات النفس الإنسانية ، وإن اختلفت مع أفكارنا نحن " لقد استخدم شعراء المتصوفة ألفاظاً ، سبق وأن استخدمها الشعراء المحبون[١٤١] لكنها توحدت جميعها وانصهرت ، فى رمز واحد أعلى ، يدل على حقيقة واحدة أسمى ، تجسد هذه المعانى القدسية بين الله والانسان "فالشعر الصوفى كان من جانب آخر تطوراً للشعر الدينى الاسلامى ، وتطوراً للغزل العذرى المتصوف ، الهائم فى مسارح الجمال الروحى ، وكان قسم منه تطوراً لشعر الخمريات فى الأدب العربى ، وقسم آخر ، وهو الخاص بوصف الذات الإلهية ، كان تطوراً لفن الوصف فى أدبنا القديم ، وشعر المدائح النبوية ، كان كذلك تطوراً لفن المدح فى الشعر العربى[١٤٢] فارتوى الشاعر الصوفى من تلك الينابيع ، بعد أن أضاف إليها من مكنون النفس بعداً جديداً.

وفى قصيدته "عروس السماء" نجد صورة أخرى ، يتمثل فيها الوجد الدينى فى أبهى صوره ، مستمد من الملأ الأعلى ، حيث "المنى قطوف" لكل من يسير على درب الحقيقة . فيقول :

أُوْقِدُوا الشُّمُوسْ انْقُرُوا الدُّفُـوفْ
مَوْكِبُ العَـرُوسْ فى السَّما يطُوفْ
والمُنَى قُطُـــوفْ

---

(١٣٩) الرمزية : تشادويك : ص ٤٦.
(١٤٠) ديوان : راهب الليل : ص ٣١٧.
(١٤١) د.محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض سلطان العاشقين : سلسلة الأعلام العرب القاهرة ١٩٦٣ ص ٢٤٧.
(١٤٢) الأدب فى التراث الصوفى : ص ١٦٧.

الرِّضَا والنُّـــورْ والصَّبَايَا الحُورْ
والهَـــوَى يَدُورْ(١٤٣)

وهنا تدور تعبيرات الشاعر المباشرة ومعانيه ، فى مجال ما وعد الله به عباده المتقين، وتمهد هذه المقدمة لما بعدها من أبيات شعرية ، تموج ينابيعها بأنساقها المعرفية ، ومضامينها الصوفية .

ويجسد هذا النوع من الشعر بهاء الشاعر ، وصفاء عقيدته بعد أن كانت قد زلت ، وأصبح فى الدنيا غريباً ، فيشتاق إلى دار الإقامة الخالدة :

آنَ للغَـــريبْ أنْ يَرَىَ حُمَاه
يَوْمَهُ القَـريبْ شَاطِئُ الحيَاه
يا حَبيبَ الرُّوحْ تَائهٌ مَجْـرُوح
كُلُّهُ جُـرُوح(١٤٤)

ثم يؤكد الشاعر توبته وندمه ، فيلوذ بالباب ، ولكنه ملاذ المشوق الخائف ، المثقل بالذنوب ، الطالب للمغفرة :

لائذٌ بالبَـــابْ شَوْقُهُ دَعَـاه
والرِّضا رحَاب يَشْمَلُ العُفَاه(١٤٥)

إن هذه الأشعار تمثل أوبة الشاعر إلى الله ، والإحساس بدنو الأجل ، كما أنها تفيض بألفاظ الوجد والهيام فى ذات المحبوب ، بل وتتحول إلى صورة من العشق الإلهى الخالص، كما عرف عند أعلامه المحبين .

ويعد شاعرنا أبو فاشا ، فى طليعة الشعراء المعاصرين ، الذين جادت قريحتهم بهذ النوع من الشعر ، بعد أن ذابت ذواتهم فى ذات الله الأعظم ، كما يقول المتصوف: "فالمتصوفة يعتقدون ، أن الحقيقة الإلهية ، اتحدت بالحقيقة المحمدية قبل نشأة الوجود وأن أقباساً مازالت تفيض من تلك الحقيقة الكبرى فى نفوس الأنبياء ، حتى تجلت فى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم أخذت تتجلى فى خلفائه الراشدين ، ثم فى أقطاب الصوفية(١٤٦) .

لقد انفرد أبو فاشا من بين شعراء عصره ، بهذا الكم الوافر من القصائد ، التى تدور

---

(١٤٣) ديوان : راهب الليل : ص ٣٣١.
(١٤٤) ديوان : راهب الليل : ص ٣٣٢.
(١٤٥) السابق والصفحة .
(١٤٦) فصول فى الشعر ونقده : ص ٢٢٠.

فى هذا الباب ، سواء جاء ذلك على لسان رابعة ، أم أن ذلك كان صدى لنفسه وتجربته الذاتية الخاصة . فيقول :

غَريبٌ على بَابِ الرَّجَـــاءِ طَرِيحُ ... يُنَاديكَ مَوْصُولُ الجَوَى وَيَنُوحُ
يَهُونُ عَذَابُ الجِسْمِ والرُّوحُ سَـالِمٌ ... فَكَيْفَ وَرُوحُ المُسْتَهامِ جُـرُوحُ
وَلَيْسَ الَّذى يَشْكُو الصَّبَابَةَ عَاشِقاً ... وما كُلُّ بَاكٍ فى الغَـرامِ قَرِيحُ
يقـــولونَ لى غَنِّى وبالقلبِ لَوْعَةٌ ... أُغَنِّى بِهَا فى خَلْوَتى وأنُـوحُ
ولى فى طريقِ الشَّوقِ واللَّيلُ هائمٌ ... مَعَالَمُ تَخْفَى تَـــارَةً وتَلُوحُ
ولى فى مَقَامِ الوَجْدِ حَـــالٌ ولَوْعَةٌ ... وَدَمْعٌ أدَارِى فى الهَوَى ويبوحُ
وأنْتَ وجودى فى شُهودِى وَغَيْبَتَى ... وسِرُّكَ نُورُ النُّورِ أوْ هُوَ رُوحُ (١٤٧)

وبهذا نقف على عدد من الألفاظ التى تتكرر فى الشعر الصوفى : الغريب/ الرجاء/ الجوى / موصول/ينوح/ الروح/ المستهام/ قريح/ القلب/ خلوة/ طريق/ شوق/ مقام/ وجد/ حال/ لوعة / دمع / الهوى/ تبوح/ وجود/ شهود/ نور/ سر. إلى غير ذلك من ألفاظ ، تجسد هذه المفاهيم ، وتؤكد تلك التجربة ، التى توافقت مع تلك النفس ، لشاعر كأبى فاشا ، الذى أصبح صوفياً صرفاً فى شعره الأخير .

وفى "بحار الندم" يأخذ العنوان مدلولا رامزاً ، فالندم هنا ليس ندماً واحداً ، بل هو بحار متلاطمة الأمواج ، تحيط ضفافها بالشاعر ، ولهذا كانت تلك القصيدة دعوة ضارعة إلى الله ، متشحة بالبكاء ، والرجاء ، والتوسل :

على عَيْنى بَكَتْ عَيْنى ... على رُوحى جَنَتْ رُوحى
هَوَاكَ وبُعْـــدُ مَا بَيْنى ... وَبَيْنكَ ســرُّ تبَرْيـــحى

عـــــلى عَـــيْنى
عـــــلى رُوحـــى
فياغَوْثَاهُ ياغَـــوْثَاه
وَمِنْ طُولِ النَّوَى أوَّاه
وآهٍ آه (١٤٨)

فالصورة التشبيهية تحفل بالثراء والغنى ، والمعانى الرامزة عبرت عن نفس صادقة ، أكدتها لغة الخطاب ، بين الشاعر والملأ الأعلى ، فى تودد وخشوع ، يحدوه قلب نورانى

---

(١٤٧) ديوان : راهب الليل : ص ٣١٣.
(١٤٨) المصدر السابق : ص ٣١٥.

صوفى ، أضناه الوجد والأسى :

صَحَا منْ شَجْوِه كأسى وقَدْ نَامَ الخليُّـونَا
فكَيْفَ أفِـرُّ منْ نَفْسِى إذَا هَامَ المحِـبُّونا
عـــلى نَفْسى
جَـــنَتْ نَفْسى
فَيَاوَيْلاهُ ياوَيْـــلاه
وَمِنْ طُولِ النَّوىَ أوَّاه
وآهٍ آه(١٤٩)

ثم يقول فى حياء وخجل ، وإن كان خجل وحياء المحب ، الواقف بالباب :

حَيَائى منْكَ يُبعـدُنى وَدَاعى الشَّوقِ يُدْنينى
وَوَجْهُ الصَّفْحِ يُخْجِلُنى وَيقْتُلُنى وَيُحْيينـــى
خَلَوْتُ إليكَ ياربـــى وَقُلْتُ عَسَاكَ تَقْبَلُنـى
فمَا بالـــى أرَىَ ذَنْبى وأيامِى تُطـــــارِدُنى
مَـــدَدْتُ يَدِى
فَخُـــذْ بيَدىَ
وإليكَ وَمنْكَ ياربَّاه
وَمِنْ طولِ النَّوى آوَاه
وآهٍ آه (١٥٠)

ثم يصل الشاعر إلى قمة النورانية والاستشراق ، عندما تتسامى روحه ، إلى مرتبة عالية ، من الشفافية ، والفناء ، والذوبان فى ذات الله الأعظم ، فيقول فى ثوب من الخضوع والاستسلام :

لغَيْرِكَ مَا مَدَدتُ يَداً وَغَيْرِكَ لا يَفيضُ نَدَىَ
ورُكْنُكَ لم يزلْ صَمَداً فَكَيْفَ تَذُودُ مَنْ وَرَدَا
ولطفك يا خفى اللط ـف إن عادى الزمان عدا (١٥١)

ويظهر صوت الشاعر الخفيض ، مخاطباً فى خشوع وبكى ، من خلال تلك الصورة ،

(١٤٩) ديوان : راهب الليل :ص ٣١٥.
(١٥٠) المصدر السابق : ص ٣١٥ . ٣١٦.
(١٥١) السابق والصفحة .

التى ركبت فى هذه اللوحة القاتمة ، فشخصت ما كان عليه من حالة نفسية مضطربة ، يطاردها الأسى أبداً ، ويرعاها الجوى أبداً ، ويطويها الهوى جسداً :

على قَلبى وَضَعْتُ يَداً ... وَنَحْوكَ قَدْ مَدَدْتُ يَداً
سَرَى لَيْلى بغَيرِ هُدَى ... ولا أدْرى لأى مَـدَى
يُطارِدُنى الأسى أبداً ... وَيَرْعَانى الجَـوَى أبَداً
ويَنْشُرُ فى الهَوَى رُوحاً ... وَيَطْوِينى الهَوَى جَسَداً (١٥٢)

ثم يرسم الشاعر صورة ضبابية أخرى ، تؤكدها تلك الكلمات ، التى انسابت على لسانه ، بعد أن رأى نفسه وحيداً حزيناً ، فى عالم من التيه والظلام ، والخوف مما هو آت ، وقد فقد الأهل والسند و وتنا ءى عنه المحبون :

نَهَارِى والهَجيرُ لَظَى ... ولَيْلى والظَّلامُ رَدَى
فَوَاكَبَداً إذَا أضْحَـى ... وإنْ أمْسَى فَوَاكَبَدا
ولَيْسَ سواكَ لى سَنَدٌ ... فَقَدتُ الأهْلَ والسُّنَدا (١٥٣)

تلك إحدى موضوعات الحب الإلهى ، التى استعرضناها مع غيرها من موضوعات ، فى شعر طاهر أبى فاشا ، رأينا خلالها ، كيف جادت أشعاره ، بهذا السيل غير المنقطع ، الذى دار معظمه فى شعر الفلسفة والحكمة والتأمل ، فى عالم الوجود الغيبى والمشهود ، ومع ذلك فقد عبرت تلك الأشعار عن نفسه هو، تلك النفس الثائرة ، الخاضعة ، المحبة المتمردة على هذا الوجود.

* * *

(١٥٢) ديوان : راهب الليل : ص ٣٠٩.
(١٥٣) نفسه والصفحة .

خاتمة البحث :

لقد حاولت فى هذا البحث ، أن أتبين أهم القضايا ، التى تبدت فى ديوان الشاعر ، تلك القضايا التى كشفت النقاب عن كنه الوجود وحقيقته ، كما أكدتها هذه "الرؤية" التى شغل بها أبو فاشا ، مناقشاً ومجادلاً ، محاوراً وساخراً ، رافضاً وراضياً ، فخرج بذلك من دائرة الذاتية والفردية ، إلى دائرة الجموع ، ثم تعداها إلى دائرة أخرى ، ذات مناطق أرحب، هى دائرة الوجود كله ، ثم كانت نقلته الكبرى ، التى تمخضت عنها تجربته الصوفية ، من الفناء والتسامى فى الذات الأعلى ، على طريقة السلف من أصحاب الحب الإلهى .

ومهما يكن من أمر ، فإن ذلك لم يكن جدلاً أو خروجاً عن المألوف ، بقدر ما كان رؤية للإستبطان والتأمل ، فى مفردات الكون وطبيعته ، غيبه ومشهوده .

ولئن اضطربت تلك الرؤية - فكرياً - عند أبى فاشا- تجاوزاً أو اختلافاً - إلا أنها عبرت عن جانب الإنسان فيه ، بقدر ما عبرت عن جانب الشاعر ، وذلك ما تبلور فى :

١- إن الشك فى شعر أبى فاشا قد أخذ مكاناً هاماً ، تصدر معظم أشعاره ، بداية من ديوانه الأول "صورة الشباب" ١٩٣٢حتى ديوانه " الليالى" ١٩٨٧.

٢- اضطراب الرؤية الدينية - أحياناً - متزامناً مع القضايا الأخرى ؛ كالشك ، والحيرة، والموت ، تداخلت فيما بينها جميعاً ، حتى كونت منظوراً واحداً من الشك ، حتى فى الشك ذاته .

٣- مفهوم " الحب الإلهى " أو الشعر الصوفى ، هل يمثل تجربة خاصة ، مر بها الشاعر؟ أم أن ذلك كان خلطاً بين الفن والتجربة ؟ أم أن الشاعر كان مجرد شاعر مناسبات محترف ؟ وهنا يبرز أمامنا عدداً من التساؤلات : هل فى استطاعة الأديب ، أن يجرد نفسه جملة من التجربة الإبداعية التى يعانيها؟ وحتى لو بدا لنا ذلك ، فالأدب الموضوعى هو أدب ذاتى بالضرورة ، يعبر عن رؤية فردية خاصة ، قبل أن يصير تعبيراً حياً عن الجماعة الإنسانية ككل .

ومن هنا يمكن القول : إن التجربة الشعرية ، لا يمكن أن تكون صدى لغيرقائلها ، حتى لو توهمنا ذلك .

٤- التأثر بالموروث الصوفى فى شعر أبى فاشا ، لم يكن وليد المرحلة الأخيرة وحدها ، وإنما كانت له جذوره الممتدة ، منذ بواكير إبداعه الشعرى ، كما بينا فى ثنايا البحث.

والله الموفق .

المصادر والمراجع

أ- كتب عربية :

- القرآن الكريم .
- ابراهيم عبد القادر المازنى : الشعر غاياته ووسائطه - ط ثانية ، تحقيق د. فايز ترحينى دار الفكر اللبنانى ، ١٩٩٠.
- أبو العلاء المعرى : ديوان سقط الزند - دار صادر - بيروت (د.ت) .
- أبو الوفا التفتازانى (دكتور) : مدخل إلى التصوف الإسلامى - دار الثقافة - القاهرة ١٩٧٩.
- أحمد بهجت : بحار الحب عند الصوفية - المختار الإسلامى - القاهرة ١٩٧٩.
- إيليا أبو ماضى : أجمل ما كتب شاعر الطلاسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦.
- الحلاج ، أبو المغيث الحسين بن منصور : ديوان الحلاج - مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة (د.ت).
- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : وفيات الأعيان تحقيق د. عباس إحسان- دار صادر - بيروت ١٩٦٩.
- خير الدين الزركلى : الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان- ١٩٨٦.
- ابن رشيق ، أبو على الحسن الأسدى القيروانى : العمدة فى صناعة الشعر ونقده - تحقيق د. مفيد قميحه - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣.
- زكى مبارك (دكتور): التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق جـ٢ ط ثانية - القاهرة (د.ت).
- سامى الدهان (دكتور) شرح ديوان "صريع الغوانى" ط ثانية - دار المعارف بمصر ١٩٧٠.
- شارل بودلير : ديوان "أزهار الشر" - ترجمة : محمد أمين حسونه - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٦.
- شريف يحى الأمين : معجم الفرق الإسلامية - دار الأضواء - ط أولى - القاهرة ١٩٨٦.
- شوقى ضيف (دكتور) : فصول فى الشعر ونقده - ط ثالثة - دار المعارف ١٩٨٨.
- طاهر أبو فاشا: الأعمال الشعرية الكاملة - مكتبة الملك فيصل الإسلامية - القاهرة ١٩٩٢.

- الطاهر أحمد مكى (دكتور) الشعر العربى المعاصر - روائعه ومدخل لقراءته - ط رابعة دار المعارف - القاهرة ١٩٩٠.
- ابن طبا طبا ، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى : عيار الشعر - تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع - مكتبة الخانجى - القاهرة .(د.ت).
- عباس محمود العقاد: ديوان العقاد - المجلد الأول - المكتبة العصرية - بيروت (د.ت).
- عبد الرحمن بدوى (دكتور) : شهيدة العشق الإلهى - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة (د.ت).
- عبد القاهر بن طاهر البغدادى : الفَرْق بين الفِرَق - مكتبة دار التراث - القاهرة (د.ت).
- عبد المنعم الحفنى (دكتور) : رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين - ط ثانية دار الرشاد - القاهرة ١٩٩٦.
- ابن عربى : محمد بن على بن محمد بن عربى أبو بكر الحاتمى - ديوان ابن عربى - تحقيق د. محمد علم الدين - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - القاهرة. ١٩٩٥.
- عز الدين اسماعيل (دكتور) :
  - الأسس الجمالية فى النقد العربى - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٢.
  - الشعر العربى المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٦٧.
- عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث جـ٢ - دار الفكر العربى - القاهرة (د.ت) .
- ابن الفارض ، عمر بن أبى الحسن : ديوان ابن الفارض - مكتبة زهران - القاهرة (د.ت).
- فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - مؤسسة جمال للنشر - بيروت .(د.ت).
- محمد عبد المنعم خفاجى (دكتور) : الأدب فى التراث الصوفى - مكتبة غريب - القاهرة ١٩٨٠.
- محمد مصطفى حلمى (دكتور) :
  - ابن الفارض سلطان العاشقين - سلسلة أعلام العرب - القاهرة ١٩٦٣.

- منيد محمد قميحه (دكتور) : الاتجاه الإنسانى فى الشعر العربى الحديث - دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨١.
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :
- لسان العرب - دار صادر بيروت (د.ت).
- مختار الأغانى جـ٢ تحقيق : عبد الستار أحمد فراج - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٥، جـ٣ تحقيق عبد العليم الطحاوى الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٦.

ب - كتب أجنبية مترجمة :

- تشارلز تشادويك : الرمزية - ترجمة ابراهيم يوسف - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٢.
- يورى لوتمان : تحليل النص الشعرى « بنية القصيدة » ترجمة د. محمد فتوح أحمد - دار المعارف - القاهرة ١٩٩٥.

جـ - الدوريات :

- مجلة الشعر العدد (٥٥) يوليو ١٩٨٩.